ابن أبي دينار القيرواني
وكتابه المؤنس في أخبار إفريقية وتونس

د/ إبراهيم فرغل محمد
أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

مقدمة

يتناول هذا البحث دراســـة تحليلية نقدية لكتاب " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" للمؤرخ الكبير عبد الله محمد بن أبي القاســـم القيرواني المعروف بابن أبي دينار المتوفي بعد ســـنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م.

والحقيقة أن هذا الكتاب يعد من أهم المصـــادر التي تناولت تاريخ إفريقية وتونس أو منطقة المغرب الأدني بعامة، وقد أثني عليه عدد كبير من المؤرخين المسلمين والمستشرقين، وهذا ما شجعني علي البحث فيه ودراسته.

وكتاب المؤنس في مجمله موسوعة شاملة بحق، فهو مصنف نقلي دقيق للقرن الحادي عشر الهجري / الســـابع عشـــر الميلادي، جمع بين دفتيه عددا كبيرا من الملاحظات الطبوغرافية والتاريخية عن إفريقية، وذلك منذ الفتح العربي الإسلامي لها حتي الفتح العثماني، والمؤلف لا يفتقر إلي موهبة النقد، وأفاد كثيرا من مواد جديدة لم تصل إلينا بطريق مباشر.

ويتضمن أيضا حديثا مفصلا عن الخطط والعمران وبيان نظم البلاد السياسية والعلمية ، مما يبين عمومه وشـــموله وغزارة مادته وتوثيقها ، وذلك بالإضـــافة إلي أن المؤرخ كان معاصـــرا لكثير من الأحداث وشاهد عيان عليها.

ولذلك فإن هذا الكتاب أســـهم مســـاهمة كبيرة في التأريخ لمنطقة المغرب الأدني ولا يخلو من أهمية حتي فيما يتعلق بتاريخ إســـبانيا، وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلي اللغة الفرنســـية ســـنة ١٨٤٥م.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب فإنه حظي باهتمام المؤرخين اللاحقين في العهود التي تلته ، وكان دافعا لبعض المؤرخين للتأليف في تاريخ إفريقية وتونس.

ومن هنا رأيت أن هذا الكتاب الموسوعي القيم يحتاج إلي دراسة مستقلة توضح أهميته وقيمته التاريخية ودوره في الدراســـات التاريخية بمنطقة المغرب العربي وبخاصـــة لأنني لم أعثر علي دراسة سابقة عنه.

<u>التعريف بابن أبي دينار وأسرته:</u>

هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤرخ والأديب والشـاعر، المشـهور بابن أبي دينار[١]، ولم تحدد المصـادر والمراجع تاريخ ولادته، ولكنه عاش في النصـف الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة / السابع عشر للميلاد، وكان مولده بالقيروان[٢]

ولم تتفق المصـــادر علي تاريخ وفاته، واختلفوا ما بين ســـنوات: (١٠٩٨هـــــ/١٦٨٧م) و(١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) و(١١١٥هـ/ ١٧٠٣م) ولكن الرأي المرجح أنه توفي في الربع الأول من القرن الثاني عشر للهجرة/ الثامن عشر للميلاد[٣]

والده: أبو القاســم بن أبي القاســم بن أبي دينار الرعيني القيرواني، كان من الفقهاء بمدينة القيروان وكان بقيد الحياة أواسط القرن ١١هـــ/ ١٧م، وله كتاب: "تأهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح " يعني البخاري، وقد ذكر فيه شيئا من آداب الحديث، ولم يشتهر أبو القاسم مثل شهرة ابنه، مع أنه شخصية متعددة الفضائل، كانت ذات تأثير في المجتمع القيرواني، ما كان ينبغي أن يهملها التاريخ[٤]

ويذكر الهادي روشو محقق كتاب تأهب الراوي أن المصادر والمراجع لم تحدد تاريخ ولادته أو تاريخ وفاته، فهو من رجال القرن الحادي عشر للهجرة، السابع عشر للميلاد[٥]

حياته ووظائفه وشيوخه:

نشـــأ ابن أبي دينار في القيروان وتعلم فيها ، وقد تلقى ابن أبي دينار عن أبيه تكوينه الأول في القراءة والكتابة ، ثم واصل تعليمه في تونس[٦]، ليحضر دروس جامع الزيتونة ومدارسها ، وبعد ذلك عمل بالتدريس، وتدرج في الوظائف بعد ذلك حيث ولي قضاء سوسة[٧] ثم نقل إلي قضاء القيروان في عهد مراد باي ابن الأمير حمودة باشا[٨].

وأما عن شـيوخه، فقد أخذ العلم عن الشـيخ أحمد فتاتة واسـتفاد منه وكان يعرف والده الشـيخ فتاتة، شـيخ الإفتاء المالكي، إلا أنه لم يأخذ عنه، وقد ذكر ذلك فى أواخر الفصـل الأول من خاتمة " المؤنس" أثناء الكلام عن الشـــيخ فتاتة ما نصـــه:" وإن كنت حرمت أن أغترف من بحره، ولم يســـاعدنى الحال أن ألتقط من درره، ولقد أصـــابنى رذاذ من وابله، وذلك أن نجله العيد النجيب الشـاب الأنجد الشـيخ أبا العباس أحمد بن الشـيخ المذكور له عندى يد، أفادنى بمسائل فتق ذهنى بها، واستفدت به زاد الله فى حسناته"[٩]

وأخذ أيضا عن الأستاذ محمد ، المعروف بابن الشيخ، من علماء عصره، وذلك علي ما يؤخذ من قوله في أواخر الفصـــل الثالث من الخاتمة، عند الكلام على علماء الحاضـــرة(تونس): ومنهم شيخنا وصديقنا الشيخ الفقيه الحبر النبيه الوجيه الشيخ الأمجد أبو عبد الله محمد عرف بابن الشيخ إلخ[١٠].

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم ، الشيخ أبى الحسن على بن عبد الواحد الأنصارى[١١]

وقد ذكر ذلك في كتابه الأدبي حيث يقول: " ولما اجتمعنا بالعالم الجليل الذى فاق بنظمه الرائق سيبويه والخليل فرد الزمان وواحد الأقران ، العالم الراوية ذى التآليف العجيبة والتقاليد الغريبة ، شيخنا أبى الحسن على بن الواحد الأنصاري إلخ[١٢].

وذكر ابن أبي دينار في آخر كتابه المؤنس في أخبار إفريقية وتونس أنه عاين أعلاما فضلاء وأئمة نبهاء وأخذ عن بعضهم، منهم الشيخ أحمد الشريف الأكبر وأبو عبد الله الغماد وأبو الحسن الغماد والشيخ المهدوي والشيخ سعيد الشريف وأبو القاسم الغماري[١٣]

لذلك يمكن الجزم بأن لابن أبي دينار إلمام بالفقه ومعرفة بنظم الشعر مع اطلاع على الأدب، فنقوله الشعرية والنثرية تدل على جانب محترم من الباع والمشاركة.

شعره ونثره:

اشتهر ابن أبي دينار بحبه للشعر والنثر وقد وصفه المؤرخون بأنه المؤرخ والأديب والشاعر، ففي أواخر كتابه المؤنس ذكر نبذة من شعره ومعظمه من الشعر الوسط، وفى كتابه الأدبي نبذ آخر منه ، فمن ذلك قوله عند مفارقته القيروان وفيه التورية:

وبى علتان من مفارقة الحمى حنيني وشوقي للديار وأهلها
عسى بهما أنى سأمنع من صرفي ولكن قضا المقدور يؤذن بالصرف[١٤]

وأما نثره فدونك نموذجا منه: قطعة من رسالة له بعث بها إلى مفتى بلده الشيخ عبد الحفيظ الغريانى أوردها برمتها في كتابه الأدبي:

وبدءا فإن من كرم غريزة الرجل حنينه إلى وطنه وتذكار أهل محبته وسكنه، ولكن لما أن خلت الديار وتزاحمت الأغيار. ولم يبق صديق قائم بحق الصحبة. ولا أنيس تشكو له ألم الكربة، وبقيت مع من بقيت كما قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فاشمأزت[١٥] النفس من الركون إلى الجهال، وتنكر الوقت يشعر بتنكر الحال. وقلما سكنت النفس عن السؤال عن أحوالكم وطالما تشوقت إلى تذكار فعالكم وخصالكم والدهر لم يصف من كدر، والأمور تجرى بحسب القضاء والقدر، فعقم شكلى عن الإنتاج وتعطل لسانى عن

المجادلة واللجاج. وكلما عملت[١٦] لتحرك عامل الحزم والجزم انقلب إلى السكون. فقلت عند هذه المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون[١٧]

عصر المؤرخ: عاش ابن أبي دينار في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، وهي الفترة التركية المرادية، ولذلك يعد كتابه المؤنس، مصدرا مهما، لأنه أول مصدر تحدث عن الفتح التركي وحكم الدايات والدولة المرادية إلي عهد مخدومه علي باي ابن مراد الثاني، فقد عاصر ابن أبي دينار علي باي وتوسع في استعراض سياسته وأعماله ومآثره، وفي هذه الفترة كانت الدولة العثمانية علي الساحة السياسية.

ففي عام ١٥٧٤م كان العثمانيون قد سيطروا علي أفريقيا الشمالية، فتحولت إلي ولاية من ولاياتها، وكان ذلك آخر عام لحكم الحفصيين، ومنذ عام ١٥٩٠م بدأ الأتراك يحكمون تونس بواسطة الداي[١٨] وبعده الباي[١٩] وحكم الدايات بدأ من سنة ١٥٩٨م إلي سنة ١٦٣٠م، أما البايات فبد أ من سنة ١٦٣١م إلي سنة١٧٠٢م، وبذلك كان يحكم ولاية تونس نيابة عن السلطان العثماني والٍ يحمل لقب « الباشا»،[٢٠] ويساعده ديوان يتألّف من ضباط الجيش. وكانت قيادة الجيش بيد « أغا»[٢١]، وقيادة كل فرقة عسكرية بيد « الداي »، وعُيّن لجباية المال موظف يسمى الباي[٢٢]

وقد أخذ نفوذ الديوان يتّسع شيئاً فشيئاً إلى أن أدّى الأمر بالبلاد إلى قيام الثورة سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩٠م)، كانت نتيجتها إعطاء مقاليد الأمور إلى أحد « الدايات »، ثمّ أخذ نفوذ الداي يتّسع شيئاً فشيئاً، بينما كان يتضاءل نفوذ الباشا الممثّل الرسمي للدولة العثمانية في تونس.

وقد نُظّمت شؤون هذه الولاية في عهد عثمان داي الذي عمل على تقوية الجيش وإعطاء قيادته إلى « باي ». وسار على منواله يوسف داي الذي تولّى الحكم سنة ١٠١٩هـ (١٦١٠م)، فاستتبّ الأمن في عهدهما ونهضت البلاد من جديد[٢٣].

ثم ساءت الأحوال في تونس بعد ذلك، لأن الدايات الذين تعاقبوا على الحكم من سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧م) إلى سنة ١١١٧هـ (١٧٠٥م) لم يستطيعوا أن يحتفظوا لأنفسهم بالنفوذ، وقد تضاءلت سلطتهم أمام سلطة «البايات» التي أخذت تتّسع يوماً بعد يوم طوال القرن الحادي عشر الهجري.

وقد امتاز الثلث الأخير من القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجري بما انتاب البلاد من حروب واضطرابات ناتجة عن التنافس على العرش، فنشبت الفتن الداخلية، وقامت

حروب بين إمارة الجزائر وإمارة تونس، فعمّت بذلك الفوضـــى، وتمزّقت أوصـــال الدولة، وضـعفت السـلطة المركزية، مما شـجع أسـاطيل الدول الأوروبية على ضـرب سـواحل تونس بالقنابل مرات عديدة(٢٤).

وعلى أثر غزوة قام بها والي الجزائر ســادت البلاد اضــطرابات شــديدة، وتمكن أغا الجيش حســين بن علي من الاســتيلاء على الحكم بمســاعدة الجيش التركي وموافقة الأهالي ســنة (١١١٧ هـ / ١٧٠٥م)

وهكذا تأســســت الدولة الحســينية التي توارثت الحكم في تونس حتّى قيام الجمهورية. فعاد الأمن للبلاد بعد حالة من الاضطرابات دامت أكثر من أربعين سنة، وقضت الدولة الحسينية منذ أوائل عهدها على الثورات التي كان يقوم بها الجيش من حين لآخر لقلب نظام الحكم، وجُعلت الولاية وراثة في الأسرة الحسينية التي ظلت تتوارث السلطة حتي استقلال تونس في عام ١٩٥٧م(٢٥).

مؤلفات ابن أبي دينار:

اشــتهر ابن أبي دينار بكتابه " المؤنس في أخبار إفريقية وتونس" الذي ســجل فيه الأحداث التي عرفتها تونس وبلاد إفريقية منذ الفتح الإسـلامي حتي نهاية القرن الحادي عشـر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وقد انتهي من وضعه سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م وقد ذكر ذلك بنفسه حيث قال: "وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنتين وتسعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام"(٢٦)

وربما يكون أتم مراجعته قبيل وفاته بعد ســـنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، وهو أهم مؤلفات ابن أبي دينار، وقد بقيت منه بمكتبات تونس مخطوطات عدة وترجم إلي اللغة الفرنسية.

وترك ابن أبي دينار مجموعة من المؤلفات الأخري، تختلف من حيث أهميتها الفكرية، وتعدد مواضيعها ومن بينها:

- كتاب " هداية المتعلم في آداب التعلم " ويظهر فيه ميل المؤرخ للأدب وقد جمع فيه أقوالا مأثورة، وهو كتابه الأدبي، ومنه نســـخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس وأصله من المكتبة الأحمدية في جامع الزيتونة تحت عدد ٤٧٠٠، وقال فيه :

" أوله: نحمدك اللهم أن شرفتنا بشرف الأدب. ومنحتنا مما لديك بالفهم والتصرف بالإعراب في لسان العرب " (٢٧).

- كتاب " تخلص ذوى المودة والصفا لختم أواخر الشفا " هذا التأليف ذكره صاحب التاريخ رحمه الله، أثناء كتاب له في الأدب، ويظهر أنه كتابه على أواخر الشفاء على ما جرت به العادة من إفراد أواخر الكتب بالكتابة عليها، وهو مفقود.
- كتاب " رضاب العقيق في الروض الأنيق في مجارات الإخوان وأحوال الصاحب والصديق" وقد ذكر هذا الكتاب في تأليفه الأدبي أيضا في مواضع متفرقة منه(٢٨).

طبعات كتاب المؤنس:

طبع كتاب المؤنس لابن أبي دينار عدة طبعات بتونس، أولها كانت بمطبعة الرائد التونسي سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م، والثانية بمطبعة النهضة سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م، وقد قدم لها محمد البشير النيفر، والطبعة الثالثة أصدرتها المكتبة العتيقة سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، بتحقيق محمد شمام، وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلي اللغة الفرنسية سنة ١٨٤٥م(٢٩)

أسباب تأليف كتاب المؤنس:

ذكر المؤرخ ابن أبي دينار في الصفحات الأولي من كتابه الأسباب الداعية إلي تأليفه كتاب المؤنس تحت عنوان " الحامل علي التأليف " ويأتي في مقدمة الأسباب، حرص ابن أبي دينار علي التعريف بالبلاد التونسية وما حدث بها بعد دولة بني حفص الذين تجلت بذكرهم آخر كتب سابقيه من المؤرخين، ومعني ذلك أن هدفه الأول من وضع هذا الكتاب هو التعريف بماضي تونس وإتمام ما كتبه المؤرخ السابق له عن تاريخ تونس ، وهو ابن الشماع صاحب كتاب " الأدلة البينة النورانية علي مفاخر الدولة الحفصية"

وهذا ما أشار إليه ابن أبي دينار بقوله: " إلا أن مدينتنا الخضراء العلية وعروس البلاد الإفريقية ، تونس حرسها الله تعالي ، لم يتقيد لجمع أخبارها مصنف....وقد كنت أتمني من أجد فيه نباهة ليجمع ما حدث في زماننا من الوقائع العجيبة ويضيف إلي ما جمعه ابن الشماع في تلك المدة البعيدة إلي هذه المدة القريبة، وكم تشوقت إلي هذا الجمع بنفسي وملت إليه بحسي وحدسي إلي أن قدر الله علي بفرقة الأحباب وموت الأولاد، فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد(٣٠)

وقد أكد المؤرخ ابن أبي دينار علي أن ما أورده ابن الشماع كان هو الأساس الذي جعله يكمل تاريخه ويجمع إلي كلامه ما ينقله عن غيره، وفي ذلك يقول: " وها أنا استهدفت للرامى وأبرزت مرامى وقدمت ما أورده ابن الشماع ليكون البناء على أساس وأجمع إلى كلامه ما أنقله عن غيره وما رويته عن غير واحد من الناس، وإذا ذكرت شيئا مما ثبت عنده، أذيل عليه بنكت من كلام الغير وكل أحد ينفق ما عنده وأبذل جهدى بقدر الطاقة عسى أن يحصل لى نصيب[٣١].

ومن الأسباب أيضا وفاة ولد له وبعض الأحباب من أقاربه وغيرهم، مما أحزنه كثيرا وجعله منعزلا، فأراد أن يتفرغ للكتابة، وهذا ما عبر عنه بقوله: " إلي أن قدر الله علي بفرقة الأحباب وموت الأولاد، فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد"[٣٢]

وقوله أيضا: " فجمعت ما كان متفرقا بالرواية والسند وجعلته مقام تبريد اشتعال الكبد بموت الولد. وجعلت أتسلى به عن حزنى"[٣٣]

ويضاف إلي الأسباب أيضا، أن تونس في فترة من فترات حياة ابن أبي دينار عانت من الحروب الداخلية التي كدرت أيام أبناء مراد الثاني، فطلب السلوة باستعراض تاريخ القطر وأهله[٣٤].

وكان ابن أبي دينار يدرك تماما أن معرفة التاريخ عبرة وتذكرة وهو ما عبر عنه بقوله: " قال بعض أهل العلم: إن في علم التاريخ عبرة لمن اعتبر. وتذكرة لمن يتذكر لأنه ينبىء عن صنع الله في القرون الخالية وكيف تصرفت قدرته بإرادته في الأمم الماضية وحكمته تعالى جارية في مخلوقاته وإحسانه بحسب إرادته على مر الدهور والأزمان[٣٥].

كما أن حبه لتونس وإعجابه وافتخاره بها دائما كان مما شجعه علي كتابة تاريخها وفي ذلك يقول: " إلا أن مدينتنا الخضراء العلية وعروس البلاد الإفريقية ، تونس حرسها الله تعالي ، لم يتقيد لجمع أخبارها مصنف"[٣٦]

النطاق الزماني لتدوين الحوادث:

امتدت الفترة الزمنية لكتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار لفترة طويلة من الزمن استغرقت عدة قرون، وذلك منذ الفتح الإسلامي للمغرب سنة ٢١هـ / ٦٤٢م في القرن الأول الهجري / السادس الميلادي، حتي سنة ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م، أي بالقرب من نهاية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، وذلك في عهد الدايات والبايات الأتراك

في تونس، وقد ذكر ذلك هو بنفسه حيث قال: " وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنتين وتسعين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام "(٣٧)

وكان عرضه للفترة الزمنية التي تناولها علي النحو التالي:

١-بدأ ابن أبي دينار كتابه بذكر معلومات عن مدينة تونس وأسمائها وجامعها الكبير (الزيتونة) وشيء من آثارها، وذلك في الباب الأول، من ص (١٧-٢٧)، ثم بدأ بالتعريف بإفريقية والغرب الأدني، وذلك في الباب الثاني، من ص (٢٩ -٣٦).

٢-وبعد ذلك انطلق ابن أبي دينار في الفترة الزمنية لكتابه، وذلك منذ بداية الفتح الإسلامي للمغرب، وبالأخص منذ غزوة عبد الله بن سعد أبي السرح لإفريقية سنة ٢٩هـ/ ٦٤٩م إلي إتمام الفتح علي يد موسي بن نصير، مع ذكر ولاة القيروان والحكام الأغالبة، وذلك في الباب الثالث من كتابه بداية من ص (٣٧ -٦٧)

٣-الباب الرابع: وتناول ابن أبي دينار فيه تاريخ الدولة العبيدية من ص(**٦٩ - ٩١**)

٤-الباب الخامس: وتحدث فيه عن تاريخ الأمراء الصنهاجية من ص(٩٣-١١٨)

٥-الباب السادس: وهو عن تاريخ الدولة الحفصية من ص١١٩ (-٢٠١) وقد جعله علي فصلين، الأول: فيمن تولي من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد وهو عن تاريخ المرابطين والموحدين من ص "١٢١ -١٥١"، والثاني: فيمن تولي من بني حفص في البلاد الإفريقية من ص" ١٥٣ -٢٠١ "

٦-الباب السابع: وتناول فيه تاريخ الدولة العثمانية الخاناقية من ص (٢٠٣ -٣١٢)

٧-الخاتمة: وشملت موضوعات متنوعة ومعلومات عن تونس ومفاخرها وبعض المشاهير من علمائها من ص(٣١٣- ٣٤٨) وقد جعلها علي أربعة فصول، الأول: تحدث فيه عن تطور الحكم بتونس من ص (٣١٣-٣٢٣)، والثاني:تناول فيه نظام دولة الأتراك بتونس من ص (٣٢٤- ٣٢٩)، والثالث: ذكر فيه مفاخر تونس وبعض المشاهير من علمائها من ص (٣٣١-٣٤٤)، والرابع: وهو الأخير، تحدث فيه عن تقليد ختم البخاري بتونس، وبذلك كان إجمالي عدد صفحات كتاب المؤنس (٣٤٨) صفحة.

ومن خلال تلك الدراسة الإحصائية والموضوعية عن الفترة الزمنية لكتاب المؤنس، يتضح أن المؤرخ ابن أبي دينار أولي اهتمامه لكل من تاريخ الدولة الحفصـــية وتاريخ الدولة العثمانية وأعقبها بفترة حكم الدايات والبايات في تونس، وهي الفترة التي عاصرها المؤرخ.

مضمون الكتاب وأهم موضوعاته:

سجل ابن أبي دينار في كتابه" *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*" الأحداث التي عرفتها تونس وبلاد إفريقية منذ الفتح الإسلامي حتي الدولة العثمانية، وقد اشتمل الكتاب علي سبعة أبواب، ***الأول:*** عرف فيه ابن أبي دينار بتونس وذكر أسمائها وجامعها الكبير " الزيتونة " وشيء من آثارها، ***والثاني:*** تعرض فيه إلي إقليم إفريقية والغرب الأدني(٣٨)

والثالث: تناول فيه الفتح الإسـلامي لإفريقية منذ غزوة عبد الله بن أبي سـرح إلي إتمام الفتح علي يد موسي بن نصير، مع ذكر ولاة القيروان والحكام الأغالبة، ***والباب الرابع:*** خصه للدولة العبيدية وتصـديها لحركة أبي يزيد صـاحب الحمار المناهضـة لها، و***الباب الخامس:*** أفرده لأمراء صـنهاجة منذ ولاية بلكين، بعد ذلك خلص ابن أبي دينار في الباب السـادس للدولة الحفصية التي توسع فيها ، فأفرد لها فصلين، الأول جعله توطئة لأخبار الحفصيين، ذكر فيه فتح الأندلس ومن حكم المغرب حتي دعوة الإمام المهدي " ابن تومرت " وتولي " عبد المؤمن بن علي "وسلالته حكم الموحدين وما انتهي إليه الأمر من ظهور الحفصيين بتونس(٣٩)

وفي الفصـل الثاني من (الباب السـادس) تطرق إلي أمراء بني حفص بإفريقية، وقد خص بالذكر أبا زكريا يحيي، والحرب الصـليبية الثامنة، وتدخل المرينيين في شـؤون المغرب، بعد ذلك توسع في أخبار الحكام الحفصـيين الأخيرين، حتي عهد أبي محمد الحسن وظهور أمر خير الدين بربروسـة، واشـتداد الصـراع العثماني الإسـباني حول تونس في عهد أبي العباس أحمد ومحمد بن الحسن(٤٠)

أما الباب التاسـع فقد عاد فيه ابن أبي دينار إلي الحديث عن الدولة العثمانية منذ ظهورها وتوسـعها إلي عهد سـليمان القانوني، واسـتعرض تدخلها في شـؤون إفريقية وطردها الإسبانمنتونس وتنصيب الحكام الأراكعليها، هذا مع ذكر مفصل للدايات الأتراك الذين حكموا تونس منذ عثمان داي وحتي حمودة داي، كما ذكر البايات الذين تولوا أمور الجيش وشـؤون الجباية مثل محمد باي ومراد باي ومحمد باي الحفصـي وعلي باي الذي عاصـره ابن أبي دينارتوسع في استعراض سياسته وأعماله ومآثره(٤١)

وفي الأخير وضع ابن أبي دينار خاتمة مطولة لكتابه المؤنس قسمها إلي أربعة فصول مقتضبة، الأول ذكر فيه تطور الحكم بتونس وطبيعة نظام الملكبها علي عهد الحفصيين والأتراك، والثاني تناول فيه نظام دولة الأتراك بتونس وما امتازت به عن دولة الحفصيين، أما الثالث فذكرفيه مفاخر تونس ورقيها وعاداتها وبعض المشاهير من علمائها وصلحائها، أما الفصل الرابع والأخير من هذه الخاتمة، فقد ذكر فيه تقليد ختم البخاري بحاضرة تونس وما كان يتميز به هذا الحدث من مظاهر التعظيم والإجلال(٤٢).

وبالإضافة إلي ما سبق يحتوي كتاب المؤنس علي معلومات مهمة تتصل بمختلف أوجه الحياة، فمنها ما يتصل بالعمران والمجتمع ومنها ما يتعلق بالاقتصاد ومنها أيضا ما يمس الوضع الثقافي والديني بإفريقية وتونس، ففيما يخص العمران (علي سبيل المثال) ذكر ابن أبي دينار بناء المنصورة بإزاء القيروان من طرف المنصور بالله، وبناء جامع القصبة من قبل الأميرزكريا بن يحي، وبناء جامع التوفيق من طرف أمه عطف، وإكمال الحنايا وتوصيل المياه إليه، وبناء المكتبة العبدلية من طرف الأمير أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي وكذلك القنطرة التي أنشأها يوسف داي(٤٣).

أما فيما يتعلق بالنشاط الاجتماعي، فقد ذكر ابن أبي دينار (علي سبيل المثال) الأعياد والمواسم والاحتفال بختم الصحاح وشهر النيروز، هذا دون أن ينسي الإشارة إلي الأوبئة والأمراض كالوباء الذي وقع في عهد أبي الحسن المريني(٤٤)

أما فيما يخص الحياة الثقافية فقد تضمن كتابه المؤنس العديد من الأشعار التي ذكرها علي سبيل الاستشهاد بها، دون أن يهمل التعريف برجال العلم والقضاء والمشايخ المشهورين في العهد الإسلامي، ولعل أهمها تراجم أسد بن الفرات وسحنون وابن الأبار، بالإضافة إلي ذكر بعض الأمورالعلمية والنشاط الديني كصلاة الحرمين الشريفين علي عهد أبي فارس، وخزانة الكتب بجامع الزيتونة(٤٥).

وإلي جانب المعلومات التاريخية في كتاب المؤنس، فقد تضمن الكتاب الكثيرمن المعلومات الجغرافية، وقد وصف المؤرخ الكبير عمر رضا كحالة هذا الكتاب بأنه من المصنفات الجغرافية التاريخية، وبأنه كتاب إقليمي ومحلي اهتم بالجانبين الجغرافي والتاريخي(٤٦).

منهج ابن أبي دينار في المؤنس:

١- مصادره:

تنوعت مصـــادر المؤرخ ابن أبي دينار في كتابه المؤنس ما بين المنقولة والمســموعة والمعاصــرة، وقد اختلفت طريقة النقل من تلك المصــادر ما بين النقل المباشــر ومابين النقل عن طريق الصـــيغ المختلفة، مثل، قال، ذكر، قيل، قال آخرون.....إلخ، وكان أحيانا يذكر من نقل عنه بدون ذكر اسم الكتاب وأحيانا أخري يذكر اسم الكتاب.

المصادر المنقولة:

نقل ابن أبي دينار عن مجموعة من كبار المؤرخين والعلماء أمثال، البكري والبلاذري وابن الشماع وابن ناجي والزركشي وابن الشباط وغيرهم، ويأتي في مقدمة المصادر المنقولة التي اعتمد عليها ابن أبي دينار، كتاب الأدلة البينة النورانية علي مفاخر الدولة الحفصـــية للمؤرخ ابن الشماع[٤٧] فعند الحديث عن التعريف بمدينة تونس قال: قال ابن الشماع: "مدينة تونس هي إسلامية أحدثت بعد الثمانين من الهجرة، وكان أبو جعفر المنصور العباسي إذا قدم عليه رســول صـــاحب القيروان يقول له: ما فعلت إحدى القيروانين؟ يعنى تونس تعظيما لها." [٤٨]

والملاحظ هنا أنه ذكر اسم المؤرخ الذي نقل عنه مباشرة دون ذكر اسم الكتاب، ثم يقول في موضع آخر:

قال: "ومدينة تونس اسـمها في الأوائل "ترشـيش" ويقال لبحرها بحر رادس ومرسـاها مرسـى رادس، وأن حســـان بن النعمان افتتحها. وذكر غيره: أن زهير بن قيس البلوي افتتحها. قلت: وقع التناقض بين قوله من بناء بني أمية، وبين قوله افتتحها حسان، وقول غيره افتتحها زهير. وزهير كان سنة سبع وستين، وحسان سنة سبع وسبعين، والبناء سنة ثمانين: إلا أن يكون الفتح أولا ثم استقر بها قدم المسلمين واستوطنوها، واتخذوا بها المنازل والديار، وكان نزولهم بها سنة ثمانين، فلذلك نسبت إلى بني أمية، ولم يكن قبل ذلك ينزلها أحد من المسلمين. وابن الشماع أدرى ببلده."[٤٩]

والملاحظ هنا أنه ذكر صـيغة (قال) دون ذكر للمؤلف أو اسـم الكتاب، ولكن العبارة الأخيرة تؤكد أنه نقل عن ابن الشـماع وتوضـح أيضـا دقة ابن أبي دينار في النقل لأن ابن الشـماع مؤرخ دقيق ولديه معلومات كثيرة عن مدينة تونس التي كان يعيش فيها، ومن المؤرخين الكبار الذين نقل عنهم أيضا البكري، حيث يقول عند الحديث عن جغرافية تونس:

وقال البكري: وبمدينة تونس بحيرة دورها أربعة وعشـــرون ميلا، وهي في ســـفح جبل يعرف بجبل أم عمرو، وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسمى: شكلي، تنبت الكلخ، وبها آثار قصر

حرب. قلت: في زماننا هذا بها قصـــر مشـــيد، والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الأربعين والتســعمائة على أيدي النصــارى، وبنوا فيه حصــارا منيعا، إلى أن أخذه من أيديهم العسكر العثماني، وسيأتي إن شاء الله تعالى، وخرب ما تبقى منه إلا آثاره، وجدد في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والألف، وهو إلى يومنا هذا غير عامر"(٥٠).

ومن المؤرخين الذين نقل عنهم ابن ناجي وذلك عند حديثه عن بناء تونس حيث يقول:

"وذكر ابن ناجي أن زيادة الله بن الأغلب بنى جامع الزيتونة وسور تونس وقصبتها، فهي من بناء بني الأغلب. قلت: ولعل البناء الضخم هو من بناء الأغالبة، ويشهد لذلك ما هو مكتوب في القبة التي فوق المحراب اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي سنة خمسين ومائتين، وزيد فيه على بنائه الأول، كما زيد في أيام أبي حفص والله أعلم"(٥١)

ونقل عن البلاذري عند حديثه عن فتح تونس فقال: "وذكر البلاذري أن زهير بن قيس افتتحها. وقال البكري افتتحها حسان بن النعمان، وقاتل النصارى بفحصها فأذعنوا له وسألون أن لا يدخل عليهم ويضــع الخراج عليهم، ويقوموا له بما يحمله وأصــحابه، فأجابهم إلى ذلك وكانت لهم ســفن فاحتملوا فيها أموالهم وأهليهم ليلا وأســلموا المدينة، فدخلها حســان فحرق وخرب وبنى فيها مسجدا وخلف فيها طائفة من المؤمنين"(٥٢).

ومن مصــادره المنقولة ابن الشــباط ، وذلك عند حديثه عن جامع تونس حيث يقول: " ولنرجع إلى قول ابن الشباط قال: وجامع تونس رفيع البناء، مطل على البحر. ينظر الجالس فيه إلى جميع جواره، ويرقى إلى الجامع من جهة المشرق، على اثنتى عشرة درجة. قلت: ابن الشباط محقق فيما ينقله ولم يذكر من الباني لهذا الجامع، إلا ما ذكره غيره، وهو أن عبيد الله ابن الحبحاب هو الباني له، كما مر آنفا ولعل عبيد الله هو الذي أسسه "(٥٣).

وذكره مباشرة أيضا عند حديثه عن غزو صقلية ، فقال: " ونقل ابن الشباط أن عبيد الله بن الحبحاب أرســل حبيب بن أبي عبيدة في البحر غازيا إلى صــقلية في ســنة اثنتين وعشــرين ومائة، فظفر ظفرا لم بر مثله ونزل على سـرقوسـة وهي أعظم مدنهم بصـقلية، فقاتلهم وقاتلوه حتى ضـرب بابها بالسـيف فأثر فيه فهابته النصـارى فأذعنوا بأداء الجزية فأخذها منهم ورجع سالما إلى عبيد الله بن الحبحاب" (٥٤).

ونقل عن المؤرخ ابن الكردبوس في قوله: قال ابن الكردبوس: ولما سمع هشام بن عبد الملك بوفاة كلثوم بن عياض أرسل إلى إفريقية حنظلة بن صفوان في صفر سنة أربع وعشرين ومائة فأقام بها إلى أيام مروان بن محمد(٥٥).

ونقل عن ابن نباتة عندما تحدث عن محمد بن الأشعث فقال: وقال ابن نباتة: الذي بعث محمد بن الأشعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلاث وثلاثين ومائة والقول الأول أصح(٥٦).

ونقل عن الصدفي ومثال ذلك عندما تحدث عن موسي بن نصير فقال: " وقال الصدفي لم يسمع بمثل سبايا موسى بن نصير في الإسلام، واستصحب عند قدومه إلى الوليد سبعة وعشرين تاجا" (٥٧).

ومن المصادر النقلية التي اعتمد عليها في حديثه عن الدولة الحفصية المؤرخ الزركشي ، ومثال ذلك قوله: قال الزركشي:" وخرج بمحلة عظيمة في إثر العرب ومسك أكابرهم". وقال أيضا: وفي سنة أربع وخمسين وقيل اثنتين وخمسين، كان عرس ولي العهد الأمير الأجل عبد الله محمد المسعود وكان عرسا حفيلا ما رؤي بتونس مثله. قلت هذا المولى الأجل لم يأت في بني أبي حفص مثله من عفاف وديانة وبر وأمانة وهو أبو الخلفاء الآخرين لم يل أحد إلا من ولده(٥٨).

ومن الأمثلة علي ذكر اسم الكتاب دون ذكر لمؤلفه قوله: "وقال صاحب اقتباس الأنوار: وتونس من بلاد إفريقية بينها وبين القيروان أربع مراحل، وهي مما بناه بنو أمية، والمدينة القديمة الرومية اسمها قرطاجنة، وينسب إلى تونس مجموعة من العلماء منهم: أبو الحسن علي بن زياد التونسي سمع من مالك الموطأ وتفقه عليه، وتفقه به ابن سحنون وعاش بعد مالك نحوا من خمس سنين، وقبره بداره داخل باب المنارة "(٥٩)

وقوله أيضا: قال صاحب الاكتفاء: " وفي جمادى الثانية من سنة ثلاث وعشرين ومائة وجه هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض القيسي إلى إفريقية فلما قدمها غزا إلى طنجة فقتله البربر هنالك"(٦٠)

وأما عن نقله عن العلماء فمثل قوله: وقال الملشوني: " لم يدخل إفريقية نبي قط وأول من دخلها بالإيمان حواري عيسى عليه السلام. قلت: الحواري الذي دخلها اسمه متى العشار وقتل بقرطاجنة وهو أول من كتب الإنجيل بلسان العبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين"(٦١).

وكذلك قوله: " ونقل ابن القصار أن المولى أبا زكريا استدعى وزراءه من باب الصرف بعد انفصال مجلسه، والعادة عنده أن من استدعاه من ذلك المكان إنما يستدعيه للعقوبة "[٦٢].

المشافهة والسماع:

وإلي جانب المصادر الأساسية المنقولة نقل ابن أبي دينار عن المصادر المسموعة والشفهية، وقد عبر عن ذلك بألفاظ متنوعة منها، التعبيربصيغة "قال" و"قال آخرون" و"ذكر غيرهم" و"سمعت" و"حكي" وكذلك التعبير بألفاظ الإخبار مثل "وأخبرني "و"أخبرني من أثق به "

ومن الأمثلة علي ما سبق قوله: " وقال بعض المؤرخين: بويع أمير المؤمنين هارون الرشيد بإجماع الأمة ما عدا جزيرة الأندلس وذلك لبعدها والبحر حائل بين المملكتين"[٦٣].

وقال آخرون: " الأفارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح عليه السلام. سموا باسم البلاد وقيل إن إفريقش بن إبرهة بن ذي القرنين لما غزا بلاد المغرب، ودوخ البلاد بنى مدينة سميت باسمه فقالوا إفريقية وسموا أهلها الأفارقة، ذكره المقريزي. وقيل اسمه إفريقين بن قيس بن صفي الخميري، افتتحها وقتل ملكها واسمه جرجير فسميت به، ويومئذ قال لأهلها ما اكثر بربرتكم فسموا بربر، قاله ابن خلكان. وقيل كان اسمه إفريقس بالسين المهملة فعربتها العرب بالشين المعجمة. ونقل ابن الشباط عن بعضهم أنه كان يقول اسمها إبريقية من البريق، لأن سماءها خال من السحب، قلت: وهذا القول بعيد لأن أفريقيا كثيرة السحب"[٦٤].

وذكر غيرهما " أن الذي خرق البحر إلى تونس هو موسى بن نصير، وجعل دار الصناعة بتونس، وجرى المجرى اثنى عشر ميلا، حتى أقحمه دار الصناعة، فصارت ميناء للمراكب، وأمر بصناعة مائة مركب وغزا بها بلاد الروم، وعقد لولده عبد الله عليها، وأمره بالانصراف إلى صقلية وكانت أول غزوة غزيت في بحر إفريقية، فسار عبد الله إلى صقلية فافتتح فيها وأصاب ما لا تدرى قيمته، ثم انصرف قافلا سالما، وكانت تسمى غزوة الأشراف، وعقد بعد ولده لبعض أصحابه على مراكب أخر، فوصل سرقوسة وملكها والله أعلم بحقيقة"[٦٥].

وسمعت بعض الفقهاء " يقول معنى قوله تعالى (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز)' يعنى الأرض المخرشفة على أحد التأويل ولا يوجد في غالب المعمور أكثر خرشفا من إفريقية والله أعلم"[٦٦].

وسمعت من البلد من يقول عدد كل ثلث ستون ألفا والله أعلم بحقيقة ذلك وكانت هذه الواقعة سنة إحدى وأربعين وتسعمائة"[٦٧].

وسمعت من أهل الحضرة (تونس) من يقول: " كان السلطان أحمد ذلك اليوم يعطي كل من أتاه برأس من الكفرة دينار "وكان حقا علينا نصر المؤمنين"(٦٨).

وسمعت بعض أهل البلاد يقول: " إن النصارى ربطوا خيولهم بالجامع الأعظم ونبشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به إلا الرمل، وفعلوا ما لم تفعله الأعداء بالأعداء "(٦٩).

وسمعت من نقل عمن شاهد تلك المواطن " أنه مر برجل من العسكر وهو حامل على ظهره حملا من الحطب لكي يلقيه في الخندق وبه عدة جراحات وهو على آخر رمق، قال: فأردت أن أخفف عنه فأبى ولم يزل سائرا به إلى أن ألقاه في محله. ومات لوقته بحضور أجله. رحمه الله وعامله بنيته عن عمله"(٧٠).

وحكى بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه قال:" كانت إفريقية من طنجة إلى طرابلس ظلا واحدا وقرى متصلة عامرة "(٧١).

وأخبرني بعض الناس قال: " أخبرني جدي وكان ممن حضر الفتح وأصابته جراحات يوم الدخول للحصار قال: بينما أنا راقد إذا ببعض أصدقائي وضع تحت فراشي من الدنانير التي انتهبت، فلما دخلوا إلى الخبأ الذي أنا فيه ووجدوني في حالة المرض انصرفوا عني وسلم ما كان تحت الفراش وكان أزيد من ثلاثة آلاف دينار "(٧٢).

ولقد أخبرني من أثق به، " أن السلطان أحمد صاحب مراكش، لما أرسل جيشه صحبة محمود باشا مملوكه إلى بلد السودان وفتحها إلى تنبكتو وأخذ عن أهلها البيعة لأستاذه، وكان بها إذ ذاك العالم العلامة الشيخ أبو العباس أحمد عرف بابا رحمه الله، سأل الناس لمن بايعوا، فأخبروه لسلطان مراكش فقال: لست اعلم في إقليم الغرب سلطانا إلا صاحب مدينة تونس حرسها الله تعالى. أنظر أيها المتأمل كيف ثبت عند هذا العلامة خبر تونس وسلطانها، مع قرب بلاده من مراكش وبعدها عن تونس، والشيخ أحمد صاحب اطلاع وهو من اكابر علماء وقته، وما ذاك إلا لفخامة ذكرها وعلو قدرها زادها الله علوا "(٧٣).

٢- ابن أبي دينار وطريقته المنهجية في المؤنس:

استخدم ابن أبي دينار في تدوين وتنظيم مادته التاريخية طريقة الدمج بين المنهج الموضوعي والحولي في كتابه، حيث يبدأ بالمنهج الموضوعي فيسرد الأحداث بالترجمة والحديث عن الأمير ثم ينتقل إلي المنهج الحولي فيذكر الأحداث بالسنين مع كتابة العناوين، بحيث يضع

لكل أمير عنوان خاص به، ويتناول الأمراء علي التوالي، وتحت العناوين يتحدث عن بيعة الأمير وأهم أعماله والأحداث التي وقعت في زمنه وخواصه.

وهكذا جعل المؤرخ ابن أبي دينار الحوادث التي أرخ لها مرتبة حسب السنوات، فكل سنة يدون حوادثها تحتها، وكان يذكر اليوم والشهر وأحيانا الوقت من النهار، على أن إسقاط واحد من هذه لم يكن نادرا، وأورد هنا أمثلة للتطبيق على ذلك :

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة " أمر القائم بحفر خندق على أرباض المهدية. وأنفذ الكتب إلى صنهاجة وكتامة يستفزهم إلى المهدية ويحرضهم على قتال أبي يزيد. ورحل أبو يزيد ونزل قريبا من المهدية ونهب ما حولها وخرج إليه جيش القائم واقتتلوا معه فهزمهم وسار أبو يزيد إلى الخندق المحدق بخاصته واقتتل مع الحراس الذين هنالك فهزمهم "[٧٤].

ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة " وقع فيها اختلاف في عسكر أبي يزيد فتفرقت جموعه ولم يبق معه إلا ثلاثون رجلا، فرجع إلى القيروان وأسلم ما كان معه. فخرج الناس من المهدية ونهبوا ما خلفه فصلحت حالهم ورخصت أسعارهم وأخلوا جميع ما خلف من طعام وأمتعة وأخبية وفازات وغير ذلك "[٧٥].

وفي سنة أربعين " بعث المنصور أسطولا عظيما إلى صقلية لأنه سمع بملك الروم عازما على الحركة إليها وتوفي رحمه الله يوم الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وعمره أربعون سنة وولايته سبع سنين وثمانية عشر يوما وكان أكد بالعهد لولده أبي تميم معد ودفن بصبره في قصره رحمه الله تعالى "[٧٦].

وفي شوال سنة إحدى وستين "عزم على المسير إلى مصر ورحل من المنصورية وأقام بسردانية ولحقه عماله وأهل بيته وجمع ما كان له في قصوره، وكان مقامه بسردانية أربعة أشهر وسردانية قريبة من القيروان وكانت قصورهم وبساتينهم بها"[٧٧].

ويوم الثلاثاء لخمس خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة " عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم يدخل مصر، وتلقاه القائد جوهر عند الجسر الثاني فترجل عند لقائه وقبل الأرض بين يديه ولما دخل القاهرة دخل القصر الذي كان معدا له، فدخل مجلسا وخر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وفي العشر الأخيرة من المحرم سنة أربع وستين عزل المعز القائد جوهر عن دواوين مصر وجباية أموالها وكان في المعز عدل وإنصاف وكان ينظر في النجوم "[٧٨].

وفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة " دخل عبد المؤمن سجلماسة وأمن أهلها ورجع إلى مراكش، ثم غزا بني غواطة فهزموه ثم كانت الكرة عليهم "[٧٩].

وفيها " فتحت مكناسة بعد محاصرتها سبعة أعوام ودخلها بالسيف. قلت: الذي أخذت منه بجاية اسمه يحيى بن العزيز، والذين ملكوا بجاية وأولهم حماد بن يوسف بلكين الذي تقدم ذكره عن ذكر صنهاجة "[٨٠].

ويوم الخميس آخر الشهر " خرج الديوان إلى لقائه ودخل المدينة ويوم دخوله كان بعض الناس يغضي من جنابه وبعضهم رأى عليه مخايل الولاية "[٨١]

٣- ابن أبي دينار والكتابة التاريخية المعاصرة.

عاصر ابن أبي دينار فترة طويلة من تاريخ الدولة العثمانية في تونس، وكان شاهد عيان علي كثير من أحداثها، وقد اعتمد أيضا علي شهود العيان وعلي القريبين في العمر من الفترة الزمنية التي لم يعاصرها ، وقد أثبت ذلك في كتابه المؤنس، حيث يقول :

" وهنا انتهى النقل الذي قيده الزركشي (ولم أطلع على ما سواه إلا ما تلقيته من أهل الحاضرة)، ولهذا نأتي به جملا لا تفصيلا، ولم أقيد نفسي لتاريخ الوقائع لقلة الضبط، ولم أجد من له اهتمام بهذا الأمر فأقول وبالله المستعان: سمعت من يذكر من أهل تونس أن السلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعته مدينة سوسة فقام فيها صهره القليعي "[٨٢]

وهكذا كان ابن أبي دينار يتحدث ويؤرخ عن وقائع وأحداث عصره، وفي تأريخه هذا يمتاز بأنه كان كثيرا ما يعتمد على مشاهداته ومعلوماته هو نفسه.

ولذا استطاع أن يكشف لنا عن حوادث مهمة لأحداث عصره، وبخاصة ما يتعلق بالدولة العثمانية في تونس، وقد لا نجدها بمثل هذا الوضوح في المصادر الأخرى...[٨٣]

وعن معاصرة المؤرخ لأحداث عصره يقول أحد الباحثين: "

ولا شك أن معاصرة المؤرخ العربي لأحداث زمانه، تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة، فالمؤرخ الذي يعيش في زمن قريب من الزمن الذي دارت فيه الأحداث التي يقوم بتأريخها، أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصويرها بألوانها الحقيقية.

ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصـــرة لزمن الأحداث، تعتمد كثيرا على المعاينة والمشـــاهدة والسماع من مصـادر متنوعة، والمعاينة والتحقق، يجنبان المؤرخ من الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها من لم يحذ حذوه واعتمد على النقول.". (٨٤)

وعلى الرغم من ذلك فإنه إذا كان للكتابة التاريخية المعاصـــرة تلك المميزات فإن لها عيوبا أيضـــا، وقد تكون عيوبا خطيرة، ومن ذلك أنها قد تكون حجابا يمنع المؤرخ من قول الحقيقة ويغشـــى بصـــره عن رؤية لأمور على وجهها الصـــحيح تبعا لاعتبارات تتصـــل بالتقرب إلى الحكام ومصانعتهم أو الرهبة منهم والخوف من سلطانهم ودولتهم.

وتبعا لاعتبارات أخرى تتصـــل بما يدور بين الأشـــخاص المتعاصـــرين من علاقات معاملات وما يقع بينهم مودات وعدوات، وشر آفات المعاصرة في كتابة التاريخ والسير، " أنها قد تحمل المؤرخ على المجاملة، وتبعده عن العدالة والضـبط اللازمين للمؤرخ، وتميل به إلى الإغضـاء عن الهفوات.

كما قد تسكت لسانه عن النقد النزيه، والحكم الصحيح على الأشياء، مراعاة لاعتبارات خاصة كالزلفى إلى ولاة الأمور من ناحية، أو الخوف منهم من ناحية أخرى، وما أضـــيع التاريخ والحقيقة بين الزلفى والخوف، وبين المصانعة والرهبة."..(٨٥)

ومن الأمثلة علي المعاصـرة: " قلت: وتربته إلى يومنا هذا مشـهورة داخل القصـبة، ولما توفي رحمه الله قدم ولده المولى أبو زيد ثم طلع إلى المغرب هو وأخوته، ثم وصـــل إلى تونس أبو محمد عبد الله بن المولى عبد الواحد من قبل العادل بن المنصـور ومعه أخوه أبو زكريا يحيى سنة ثمان عشرة، وقوله أيضا:" وقال البكري: وبمدينة تونس بحيرة دورها أربعة وعشرون ميلا، وهي في سـفح جبل يعرف بجبل أم عمرو، وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسـمى: شـكلي، تنبت الكلخ، وبها آثار قصر حرب.

قلت: في زماننا هذا بها قصـــر مشـــيد، والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الأربعين والتسـعمائة على أيدي النصـارى، وبنوا فيه حصـارا منيعا، إلى أن أخذه من أيديهم العسـكر العثماني، وسـيأتي إن شـاء الله تعالى، وخرب ما تبقى منه إلا آثاره، وجدد في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والألف، وهو إلى يومنا هذا غير عامر"(٨٦)

٤- طريقة توثيق الخبر والنقل عند ابن أبي دينار:

يعد كتاب "المؤنس" من أكثر كتب الأخبار تداولا وتغطية لأخبار إفريقية وتونس في عصورها الأولي ثم بدايات الفترة الحديثة، فقد بدا صاحب المؤنس واعيا بحضور حلقة مفقودة تربط بين الأخبار التي جمعها الزركشي في "تاريخ الدولتين" وابن الهنتاتي المعروف بابن الشمّاع في "الأدلة البينة النورانية" حول تاريخ دولة بني حفص وبين المرحلة التاريخية التي عاصرها.

فابن أبي دينار لم تعترضه أية صعوبة في النقل عن سابقيه من الإخباريين، فلئن توقفت العروض الواردة ضمن كتاب الأدلة عند مرحلة حكم أبي عمرو عثمان الحفصي (١٤٣٥ - ١٤٨٥م)، فإنه قد جنّد لاستكمال عروضه المعطيات الواردة ضمن كتاب تاريخ الدولتين وتلك التي وفرتها له "فهرسة" الشيخ الرصاع، فضلا عن المختصر المنسوب للشريف بركات أو(ابن النوعي) وقصيدة الشيخ بن سلامة في التفجّع عمّا لحق بالتونسيين أيام الإسبان الذين استنجد بهم الحسن الحفصي، وعدد من الروايات الشفوية المتصلة بالاستجوابات التي قام بها المؤلف والتي غالبا ما أنهى نقلها بصيغة "والله أعلم"[٨٧]

ومثال ذلك قوله عند الحديث عن الأمير يعقوب المنصور سنة ٥٩٥هـ:" دخل المنصور إلي قصره فلزمه وبدا فيه المرض الذي مات به في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة بقصبة مراكش[٨٨]، وقيل إنه تقشف وزهد في الدنيا وارتحل إلي المشرق ومات هناك، وأهل الشام مقرر هذا الخبر عند عامتهم"[٨٩].

وتتسم المعطيات المتصلة بولاية السلاطين العثمانيين والتي نقلها مؤلف المؤنس عن أحد الكتب الموضوعة في المشرق التي ليس من السهل تحديد عنوانها أو مؤلفها. بالإجمال والتقريب، وقد أضاف لها المؤلف تفاصيل عن احتلال الإسبان لتونس نقلها عن مصادر شفوية أو كتابية غير محددّة، على غرار الرواية الطويلة والمفصّلة المتصلة باحتلال الأتراك لمدينة تونس ولميناء حلق الوادي[٩٠] وللحصون التي شغلها الإسبان عند هذين الموقعين.

ويُستدل على ذلك من الإشارات العديدة الواردة ضمن كتاب المؤنس على غرار "وجدت بعض التواريخ"[٩١]، أو "هكذا وجدت هذا الاسم مكتوبا"، أو "إن صاحب التقييد الذي نقلت عنه هذه الرواية كان يقطن بعيدا عن بلاد إفريقية"[٩٢]، أو كذلك " أذكر أني قرأت بعض التفاصيل في رسالة موجهة من شاهد عيان إلى أحد أصحاب الرتب في السلطنة العثمانية"[٩٣]

كما أن الاستناد إلى المصادر الشفوية غالبا ما تسبقه الصيغ التالية "بعض سكان تونس" "رجل استقى الخبر من شاهد عيان" وغير ذلك(٩٤) حتى وإذا انقطعت نقوله بالكامل، فإنه يخطر قرائه بتوقفها واستناده بالكامل على ما انتهى إلى مسامعه من روايات نقلها عن الطاعنين في السن من شيوخ المدينة، مع عرض تلك الروايات جملا لا تفصيلا ودون أن يقيّد نفسه بتاريخ الوقائع لقلة الضبط، وهي وقائع حرجة مظلمة من تاريخ إفريقية امتدت على ما لا يقل عن القرن من الزمن.

ولم ير مؤلف المؤنس ضيرا في إرجاع أسباب حملة سنان باشا التي ربطت مجال البلاد نهائيا بسيطرة العثمانيين بما تواتر على ألسنة أهل مدينة تونس بخصوص استنجاد "سلطان المدينة" محرز بن خلف (ت ١٠٢٢ م) بالسلطان سليم (١٥٦٦ – ١٥٧٤)، وحثه مناما على الحضور إلى تونس لوضع حد لما استحلّه الإسبان وإنقاذا البلاد والعباد(٩٥).

ومهما يكن من أمر، فإن ابن أبي دينار كان له الباع الكبير في التعرّض إلى مرحلة ما بعد الحضور العثماني بالبلاد التونسية، لذلك فإن هذا الأثر تفوق قيمته العديد من المصادر التي أُلفت من بعده، لأنه أدق منها أخبارا وأجود دراية بأحداث القرنين السادس عشر والسابع عشر(٩٦).

٥– ابن أبي دينار والاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية:

اقتبس ابن أبي دينار في كتابه، بعضا من الآيات القرآنية، وبعض الاقتباسات والأقوال المأثورة، مما يؤكد مدى عمق ثقافته الدينية، وقد توزعت تلك الاقتباسات على أماكن متفرقة من الكتاب.

فقد كان ابن أبي دينار حين يكتب كلمة، تذكره هذه الكلمة بآية في القرآن الكريم، أو بجملة في أحد الآثار الأدبية، فيسارع إلى الاقتباس من الآية أو الأثر ، وللتطبيق على الكلام السابق أورد بعض الأمثلة:يقول ابن أبي دينار عن شيخه، الشيخ محمد فتاتة عندما نجاه الله من القتل:

وكنت كتبت له رسالة هنأته، ولكن لم تصل إليه ومنعتني منه الحشمة وافتتحها بقوله: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا"(٩٧) – والحمد لله الذي أنزل على عبده أن أسر بأهلك بقطع من الليل– "إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك"(٩٨)– وألهم عبده لما حصل في وثاق الأعداء أن فر من بين

العســـس فكتب له النجاة آلا وأعوذ بالله من قوم ليس لهم عهد يعد ولا ذمة لذمام ولا يراعون فيكم آلا، وهي طويلة أضــربنا عن ذكرها وهو حفظه الله تعالى ملازم للاشــتغال بالقراءة وله عدة دروس في الجامع الأعظم وفي مســـجده بالقرب من كتاب الوزير، وفي داره هذا مع اشتغاله بما ينفع الناس، أذهب الله تعالى عنه الكدر والبأس."(٩٩)

ويقول في موضــع آخر: " ولنختم هذا الختم بحديث الختم الذي جاء عن سيد البشر ونطق به وما ينطق عن الهوى، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"(١٠٠).

٦- ابن أبي دينار واستخدام الشعر:

استخدام المؤرخ ابن أبي دينار الشعر في مؤلفاته التاريخية، سواء كان الشعر من نظمه أم من نظم غيره من الشــعراء، وغالبا ما كان يذكر هذا الشــعر في نهاية الحديث عن الأحداث الذي يذكرها مثل فتوحات السلاطين أو بنائهم للمساجد والمدارس والبيمارستانات، وغير ذلك.

وهكذا اعتمد ابن أبي دينار (إلى جانب نصوص التاريخ) على أبيات الشعر في تدعيم أخباره في بعض المواطن، ســواء في مدح الحكام أو في الأحداث أو في وصـــف مختلف الظواهر التاريخيه، وهو أمر طبيعي في ظل الصراع المذهبي والسياسي الذي غذته العصبيه القبليه في بلاد المغرب والدويلات المتعاقبة عليها، كما كان ســمة من ســمات الشــعراء في تخليد الأحداث، خاصه أحداث الحروب أو سنين من القحط والجفاف.

ومن الأمثلة علي اســتحدام الشــعر في كتاب المؤنس، قوله: " ولما قدر الله على والده الموت المحتوم كان حاضرا عنده وبلغني أنه دعا له بالخير ومات وهو راض عنه فقبل الله دعاءه فلم يزل في حفظ الله إلى أن بلغ مرامه، وكان من قدر الله على ما سبق في عمله أن يؤول الأمر إليه. وأرادوا خروجه عنه فجاءه الأمر إلى يديه. وما أحسـن قول أبي دلامة، لما مدح المهدي وأخذ الكرامة:

أتـــتـــه الـــولايـــــة منـــقـادة إليـــــه تجـــرر أذيالـــــهـــا
فلـــم تـــك تصلـــــح إلا لـــــه ولـــــم يـــك يصلح إلا لـهـــا
ولو رامـــــها أحـــــد غيـــــره لـــزلـــــت الأرض زلـــــزالها(١٠١)

٧- **التعليق علي بعض الروايات:** لجأ ابن أبي دينار إلي التعليق علي بعض الروايات بعبارت توضح تأييده أحيانا أو رفضه أو تشكيكه من صحة الرواية أو استغرابه منها، ومثال

ذلك عند حديثه عن بناء دار صناعة للسفن بتونس، ما بين حسان بن النعمان وعبيد الله بن الحبحاب، فقد علق بقوله: " قلت وهذا ينافي ما تقدم من أن عبيد الله بن الحبحاب هو الذي بنى دار الصناعة بتونس، وتعليقه أيضا علي السلطان محمد الفصي، عندما خرج إلي مكان يقال له (فوملودكز) ومعناه، بحر الرمل، حيث قال:

" قلت: هكذا وجدت اسم هذا المكان مقيدا ، ولا أعرف بتونس مكان يعرف بهذا الاسم، إلا ما يذكر أهل تونس عن المكان الذي يعرف بالبستيون خارج باب البحر من شرقي المدينة. وهذه الأخبار تصدق عن ذلك المكان والخبر متواتر عنه، إلا أن صاحب التقييد الذي نقلت عنه هذه الحكاية كان بعيد الدار عن الديار التونسية وإنما بلغه الخبر بلسان المخبر وعنه قيد ما سمع منه"(١٠٢).

وتحت عنوان (من تولي من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد)، علق قائلا: فأقول: أول من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة بنو أمية المغرب كفعلهم بالمشرق(١٠٣)، وقد علق ابن أبي دينار علي تاريخ الفاطميين مما يبين كراهيته لهم في قوله بعد أن عرض لتاريخهم:

"وما أطلنا الكلام عليهم إلا لارتباط أخبارهم وإتمام الفائدة، وإنما غرضنا أن نذكر من ملك إفريقية لا غير. ولما كان أول ملكهم بإفريقية وكان ظهورهم بالخلافة منها ورحلوا عنها للديار المصرية، جذبتنا مسافة الأخبار عنهم إلى نهاية أيامهم، ولولا خيفة التطويل لأتينا من أخبارهم بما فيه الغرض وأخبارهم مطولة في غير هذا"(١٠٤)

وفي تعليق آخر عن الصراع بين الأمراء الحفصيين يقول: "هؤلاء مشاهيرهم. وانقطع اسم الخلافة واشتعل الحرب بين الأمراء وتفرقت كلمتهم وحارب بعضهم بعضا وكثرت الفتن وانبسط عدو الدين في الجزيرة وبلغ منهم كل مبلغ ما بين قتل وأسر، وآخر الأمر ألقى صاحب قشتالة على أهل الجزيرة الجزية فأدوها وإنما أهلكهم التحاسد واختلاف الكلمة وها نحن في طرف من ذلك، حمانا الله من هذه الفتن بكرمه آمين.

ولما ضعف الطالب والمطلوب من الأندلس وظهر ألفونس بن فرديناند ، قوي عزمه وطمعه في البلاد وضايق على أهلها وكان يغري بعضهم على بعض ويعين هذا على هذا ويستأصل أموالهم، وهم مع ذلك منعكفون على الانهماك والمحاربة. وتسمى كل واحد منهم بغير اسمه كالمقتدر والمعتضد والمتوكل والمؤتمن وغير ذلك"(١٠٥).

٨- **الأسلوب:** استخدم أسلوب الإيجاز والاختصار وعدم التكرار، ومثال ذلك قوله بعد أن عرض لتاريخ الفاطميين: " وما أطلنا الكلام عليهم إلا لارتباط أخبارهم وإتمام الفائدة، وإنما غرضنا أن نذكر من ملك إفريقية لا غير. ولما كان أول ملكهم بإفريقية وكان ظهورهم بالخلافة منها ورحلوا عنها للديار المصرية، جذبتنا مسافة الأخبار عنهم إلى نهاية أيامهم، ولولا خيفة التطويل لأتينا من أخبارهم بما فيه الغرض وأخبارهم مطولة في غير هذا"(١٠٦)

وقوله فيمن تولى من بني حفص في البلاد الإفريقية: "وها أنا أذكر بعض سيرتهم والعمدة في ذلك على ما نقله ابن الشماع، ولكن نأتي به مختصرا لئلا نذهب ديباجته ويظن المتأمل أني غرت عليه ونزلت ساحته، وربما نأتي بما ليس فيه وأذكره وأنبه عليه، إن شاء الله تعالى وبه المستعان وعليه التكلان. فأقول وبالله التوفيق"(١٠٧).

وكذلك قوله عن السلطان أحمد بن الحسن الحفصي: "وأخبار السلطان أحمد يطول شرحها وفيما ذكرناه كفاية ودامت أيامه وانتشرت بالعدل أحكامه إلى أن نفذ فيه أمر الله لا راد لقضائه "(١٠٨).

٩-دقته في ذكر الأخبار: تميز كتاب المؤنس بالترتيب الدقيق الكامل، مما جعله مادة غنية للمؤرخين ومرجعا للباحثين، وقد نجح مؤلفه في توثيق أخباره بشكل دقيق مع ذكر أغلب الأحداث التاريخية، ويضاف إلي ذلك ذكر اليوم والشهر والسنة لوقوع الحدث التاريخي، ويلاحظ الباحث والقاريء دقة المؤرخ من خلال عرض الأحداث التاريخية، فمثلا، يحدد المؤرخ بداية أبوابه أو فصوله ونهايتها، ومن الأمثلة علي ذلك قوله تحت عنوان: " في الأمراء الصنهاجية "

"هذا الباب نذكر فيه ملوك صنهاجة، وإن كانوا في الحقيقة عمالا لبني عبيد، فإنهم بلغوا درجة الملوك وكانت لهم ضخامة وصيت "(١٠٩).

وقوله تحت عنوان "في الدولة الحفصية": ومن هنا نشرع في ذكر بني حفص، لأن هذه الحوادث التي ذكرناها، إنما هي تمهيد لما سيأتي من أخبار الحضرة العلية، وليعلم الناظر في هذا المجموع فخامة البلاد الإفريقية، ولكن نأتي ببقية أخبار الخلفاء لإتمام الفائدة، ونرجع للذي قصدناه عائدين، ولابد للذي من الصلة والعائد. ولما تمكن الشيخ عبد الواحد من البلاد رحل الناصر إلى المغرب فوصل إلى مراكش سنة خمس وستمائة، ثم يقول موضحا:

"فيه فصلان: الفصل الأول في ذكر من تولى من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد، ومن بلغ درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة، ومن بلغ درجة الخلافة ولم يتسم بها ومن بلغها وتسمى بها ومن لم يبلغها وتسمى بها، وكيف اتصل الأمر ببني حفص ليكون توطئة لأخبارهم. ويعلم التأمل مبتدأ أمرهم إذا سرح طرفة متتبعا لآثارهم. والفصل الثاني في كيفية اتصالهم بالملك وبعض أشياء من اخبارهم وسيرتهم ومحاسنهم"(١١٠).

وقوله أيضا عند الحديث عن " العصر المرادي": " وحيث أتيت بجملة من أخبار الدايات وجب أن نأتي بنبذة من أخبار البايات وإن كانت هذه التي جمعتها لم تدون قبل وإنما تلقيتها عمن كان قبلي وأخبرني وعنه أعتمد في نقلها على سبيل الاختصار"(١١١).

وقوله في الخاتمة: "الخاتمة، وفيها أربعة فصول، الفصل الأول: عن تاريخ تونس(١١٢)، الفصل الثاني: في حوادث ظهرت في الديار التونسية غير ما كانت عليه في الدولة الحفصية(١١٣)، الفصل الثالث: فيما تميزت به الديار التونسية وما تفتخر به بين أحبابها(١١٤). الفصل الرابع: في تعظيم أهل الحضرة لختم البخاري(١١٥) وفي ذلك يقول: "وحيث بلغنا في خاتمة الكتاب إلى ذكر ختم البخاري الشريف، وجب أن نذكر صورة الختم عسى أن يحصل لي ببركة الختم ومجانسته الختم والختم إن شاء الله تعالى، لا إله غيره ولا خير إلا خيره وهو نعم المولى ونعم النصير"(١١٦).

١٠-ذكر بعض المعالم والآثار: قدم ابن أبي دينار جوانب عمرانية وثقافية، توضح اهتمام الحكام بها علي درجات متفاوتة، وكان يقوم بالتعليق علي المعالم التي يزورها ويذكر ما وصلت إليه في زمنه، ومثال ذلك قوله عن بناء أبي عمرو عثمان الأمير الحفصي مدرسة في غاية الحسن:

" قلت أما المدرسة فبقيتها موجودة وأما خيراتها فلم يبق منها شيء، وبنى زاوية بعين الزميت وجعل فيها جامعا للصلاة ودرسا لقراء العلم ورباطا للقاطنين، وسماطا قويا على مر الأيام للمقيمين بها والوافدين وأوقف عليها وقفا كافيا ولم يبق منه أيضا."(١١٧)

وقوله عن مدينة قرطاجنة: "وفي تواريخ النصارى أنه كان لملك إفريقية وهو صاحب قرطاجنة مائة ألف جفن بين حصن ومدينة يحكم عليها"(١١٨).

وقوله عن مدينة تونس : " ويشهد لقدمها ما روته الثقاة عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: كنت وأنا غلام مع عمي بقرطاجنة نتمشى في آثارها ونعتبر بعجائبها"(١١٩).

١١- **ربط الأحداث الداخلية بالأحداث الخارجية:** ويتضح ذلك عندما ذكروفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب في مصر سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، حيث يقول: " ويقال إن في هذه توفي الملك الصالح ابن أيوب صاحب مصر وكان دينا عفيفا"(١٢٠).

١٢- **استخدام التعابير البلاغية كالتشبيه والسجع:** وذلك مثل قوله عند الحديث عن علي باي الذي عاصره: " وحيث أتينا بهذه النبذة واكتفينا منها باليسير فإنها نقطة من بحر، وغرفة من نهر. وربما أعرب اليسير عن الكثير، ولو تتبعنا جملة أخباره مفصلة لضاق بنا المجال، وعجز القلم في ميدان الطرس وما جال "(١٢١).

١٣- **ذكره لتراجم بعض الأعلام:** كما حمل الكتاب في طياته أخبار وفيات العلماء، والفقهاء والخطباء، وأهل الفضل والحكمة، ومثال ذلك قوله عن بعض علماء تونس: " ومنهم الشيخ المعمر العلامة المتورع المتبرك به، الشيخ أحمد عرف المهدوي، وهو الآن خطيب بجامع الحلق، قريبا من باب الجديد، زاد الله في حسناته، ومنهم الشيخ الفقيه المتفنن الورع العفيف الشيخ سعيد الشريف، وهو من بدار الشيخين، الشيخ سيدي أحمد الشريف والشيخ سيدي محمد فتاتة، وتصدر في حياتهما للإفادة بالجامع الأعظم، وفيه وقار وسكينة، زاده الله من فضله، ومنهم الشيخ الفقيه عبد القادر الجبالي، وهو من المدرسين بالجامع الأعظم، ومن تلامذة الشيخ فتاتة وفيه نية وتدين وعفاف"(١٢٢)

١٤-**استخدام الجمل الدعائية التي تظهر مدي إيمانه:** ومثال ذلك دعائه للدولة العثمانية حيث يقول: " أدام الله ظلال أمنها في الخافقين. وجعلها دائمة اليمن والبركة قاهرة لأعداء الدين. وخادمة للحرمين الشريفين"(١٢٣).

وكذلك في ختام كتابه حيث قال: "اللهم يا قابل الدعوات ويا مقيل العثرات، أسألك بحبيبك وصفيك محمد صلى الله عليه وسلم، أفضل ولد عدنان والأحاديث التي وردت في هذه الليلة المباركة وأخبرت بأنك تقسم فيها الأرزاق وتجيب فيها الدعاء والاستغفار، ولها شأن بين الليالي وأي شأن أسألك الإجابة أن تغفر ذنبي وتستر عيبي وترحم شيبي، وأن لا تؤاخذني بما فرطت ولا بما رقمت وجمعت، وأن تعاملني بحلمك ورحمتك في الدنيا والآخرة، إنك أهل التقوى واهل المغفرة، وكما فتقت لساني بكلمة التوحيد في الابتداء اجعل ختامي بها عند الانتهاء يا رب العالمين"(١٢٤).

١٥-الإكثار من استخدام ألفاظ التبجيل والتقديروالتكريم للأمراء والعلماء : ومثال ذلك، ما ذكره في بداية الحديث عن (علي باي)، الذي كان معاصرا له، حيث يقول عنه: ومن البايات الذين شاد ذكرهم في الأمصار، وانتشرت أعلامهم في هذه الديار، الأمير الشهير الأسد الضرغام، والبطل المهام، صاحب القدر العلي، أبو الحسن المولي علي، باي البلاد التونسية، والمتصرف في المملكة الإفريقية، أحسن الله إليه، وأجري الصالحات علي يديه..إلخ "[١٢٥]

١٦-أهم خصائص ومميزات كتاب المؤنس: تميز كتاب المؤنس لابن أبي دينار بعدة خصائص، منها، أسلوب النقد وإبداء الرأي والتعليق علي بعض الأحداث، ومعاصرة ابن أبي دينار للأحداث، ونقله عن شخصيات قد عايشها بنفسه أونقل بعض الأحداث مما سمعه من المقربين إليه، ومنها أيضا تنوع مصادر ابن أبي دينارفي رواية الأحداث، فمنها المصادر المسموعة، وهي التي اعتمد عليها، ومصادر أخري منقولة ومشاهدة ومعاصرة، ومن المميزات أيضا، استخدام ابن أبي دينار أسلوب الإيجاز، والبعد عن الإطالة، الذي قد يحدث الملل للقاريء، واستخدم أيضا كلمات تتسم بالدقة، ليعبر عن عدم ثقته في الخبر المنقول أو حالة الشك لديه، مثل " والله أعلم " و"هذا ما سمعته " ويمتاز هذا الكتاب بالعموم والشمول وغزارة مادته.

١٧-بعض المآخذ علي الكتاب: رغم ما تميز به كتاب المؤنس من ميزات وخصائص عديدة، إلا أن هناك بعض المآخذ أو العيوب في الكتاب، ومنها، أن ابن أبي دينار كان ضعيفا في العربية وصناعة الإعراب، ويبعد غاية البعد أن يكون كل ما وقع في مؤلفاته من اللحن الكثير، تحريف الناسخين، ومثال ذلك تحدثه بلغة العامة في الكتاب، حيث يقول عند حديثه عن مدينة تونس: " وهي أشهر من نارعلي علم وخبرها روته الثقاة بالنقل والنص "[١٢٦] ومنها أيضا، غض الطرف عن كل ما يشين الفترة التي عاصرها المؤرخ، وبخاصة في عهد علي باي الذي عاصره وبالغ في تمجيده، وذلك آفة المؤرخ المعاصر للأحداث، ومنها كذلك، أن المؤرخ في أكثر الأحيان لا يتأكد من توثيق الخبر فيذكر عبارات " هكذا سمعت " و"الله أعلم " و"هذا ما قاله بعض الناس "، ومنها، كثرة ألفاظ وعبارات التبجيل والتقدير والأدعية التي انتشرت في معظم صفحات الكتاب.

١٨-القيمة التاريخية للكتاب:

يعد كتاب "المؤنس فى أخبار "إفريقية" وتونس " لابن أبي دينار من الكتب المهمة والأساسية في التاريخ الإسلامي، فهو موسوعة تاريخية تلقى الضوء على تاريخ منطقة المغرب الأدني منذ الفتح الإسلامي وحتي العهد العثماني ، ويؤرخ أيضا لمدينة تونس.

ومن الجدير بالذكر أن تسمية "إفريقية" في هذا الكتاب لا يقصد بها قارة أفريقيا، وإنما يقصد بها القيروان، فى حين أن بعض المؤرخين وأهل السير يجعلون "إفريقية" إقليما مستقلا وله حدود ولهم اختلاف فيه. كذلك يذهب البعض إلى إطلاق هذه التسمية على هذ إلاقليم لأنه المكان الذى فرق بين الشرق والغرب(١٢٧).

ويمتد هذا إلاقليم من مدينة برقة فى ليبيا مارا بتونس والجزائر إلى وادى درعا على المحيط الأطلسى، كذلك يذهب البعض إلى أن هذا الإقليم سمى باسم سكانه الأفارقة وعلى العموم، ومهما كان هذ التحديد، فإن كتاب "المؤنس" يتعرض لحقبة من تاريخ هذه البلاد، بعضها تم سرده بالنقل كما يقول مؤلف الكتاب محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى، المشهور باسم ابن أبى دينار عمن سبقوه من المؤرخين، وبعضها جمع جمعا على لسان الثقاة الذين يحفظون التاريخ والوقائع(١٢٨).

وكتاب المؤنس من المصادر الأساسية أيضا لفترة الحفصيين وعهد الدايات والبايات بتونس، فقد اعتمد فيه صاحبه علي كتب التاريخ المتوفرة والتي تتعرض خاصة لتاريخ تونس وأهمها ما يعود إلي فترة متأخرة (القرن التاسع الهجري / الخمس عشر الميلادي) مثل كتاب ابن الشماع (الأدلة البينة النورانية علي مفاخر الدولة الحفصية) وكتاب الزركشي (تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية) كما رجع ابن ابي دينار لاسيما فيما يخص الجزء الأخير من كتابه إلي العديد من المعلومات والأقوال التي انتهت إليه عن طريق الرواية أو المشاهدة، وهذا ما أشار إليه بقوله: "فجمعت ما كان متفرقا بالرواية والسند "(١٢٩)

وقد أفاد كراتشكوفسكي KRATCHVSKI أنه أقر بأهمية الكتاب كل من أماري الذي ذكر أنه كتاب " جمع بين دفتيه عددا كبيرا من الملاحظات الطبوغرافية والتاريخية عن إفريقية منذ الفتح العربي لها حتي الفتح العثماني " واعتبره كوديراCodera كتابا " لايخلو من الأهمية حتي بالنسبة إلي تاريخ إسبانيا "(١٣٠).

ومما يزيد من أهمية كتاب المؤنس وقيمته التاريخية بين مصـــادر التاريخ الإســـلامي، أنه يتضـــمن معلومات مهمة تتصـــل بمختلف أوجه الحياة، فمنها ما يتصـــل بالعمران والمجتمع ومنها ما يتعلق بالاقتصاد ومنها أيضا ما يمس الوضع الثقافي والديني بإفريقية وتونس.

وتظهر قيمة الكتاب ومكانة مؤلفه من خلال منهج وأسلوب ابن أبي دينار فقد كان واضحا في عباراته ودقيقا في تعبيراته ومنظما في عرض معلوماته، مما يكشف المستوي الأدبي والعلمي الرفيع الذي كان عليه، وهذا ما ساعده علي استيعاب ما ذكرته مصادره عمن ترجم لهم أو عرض لأحداثهم، وكذلك براعته في صياغته بأسلوب واضح ودقيق وأدبي لبي المقاصد التي هدف إلي تحقيقها من وراء تأليفه الكتاب.

ومما لا شك فيه أن لمؤلف المؤنس الباع في التعرّض إلى مرحلة ما بعد الحضور العثماني بالبلاد التونسية، لذلك فإن هذا الأثر تفوق قيمته العديد من المصـــادر التي أُلفت من بعده، لأنه أدق منها أخبارا وأجود دراية بأحداث القرنين السادس عشر والسابع عشر. فلئن اقتصر المؤرخون قبله، على تاريخ الدول والســـلالات الحاكمة واهتموا بالأزمنة التي عاصـــروها، أو بالتحبير حال التميّز في التاريخ الكوني على غرار ما عيناه مع ابن خلدون. فإن جميعهم قد قصر همه على تاريخ الإسلام لم يعروا أيه أهمية لما قبله، في حيّن مجّد ابن أبي دينار تاريخ تونس في العهد القديم، مفتخرا بحناياها الرومانية وبعاداتها الفريدة بين الأمم(١٣١).

على أن الفترة العثمانية عنده، لا تحوز على أكثر من ثلث الكتاب، لكأنه يقول لأهل عصـره، أنّ تعاقب الدول والأشخاص على السلطة، لم يبل إفريقية الصامدة بثقافتها المميزة، وعاداتها وأمجادها التاريخية، قبل الإســـلام وقبل الدولة العثمانية وقبل البايات وقبل جميع الماســـكين بالسلطة على أيامه(١٣٢).

ولذلك كان كتاب المؤنس مصدرا أساسيا لمعظم المؤرخين اللا حقين لعصر ابن أبي دينار، ويمكن القول إن كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس يعد بحق موسوعة تونسية كبري ، جمع فيه أصـــنافا من الأخبار الســـياســـيه والاقتصـــاديه والاجتماعيه والثقافيه والدينيه، ولذلك يمتاز هذا الكتاب بالعموم والشـــمول وبغزارة مادته وتوثيقها وتفاصـــيلها، واهتمامه بالجانب العمرانى والحضارى.

وفي النهاية يمكن القول إن هذا الكتاب يعد موســـوعة تاريخية وجغرافية، أفاد منها المؤرخون اللاحقون وأصــبحت من أهم المصــادر التاريخيه التي تؤرخ لبلاد المغرب الإســلامي في فتره حرجه من تاريخه بمنهج حولى لفترة امتدت لقرون طويلة من الزمن.

هوامش البحث :

(١) انظر ترجمة ابن أبي دينار في: محمد حسنين مخلوف:شجرة النور الزكية، ط المكتبة السلفية، القاهرة سنة ١٩٤٩م ص ٣٠٧ / محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٨٢م ج٢ص ٣١٥-٣٢٠ / خير الدين الزركلي: الأعلام، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٢م، ج٧ ص ٢٢٩ / إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٢ ص ٦٠٧ / مجموعة من المؤلفين: معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر سنة ١٩٩٥م ص ٢٢٤- ٢٣٣ / محمد بوذينة: مشاهير التونسيين، ط٢ تونس سنة ١٩٩٢م ص ٤٩٨./ جان فونتان: فهرس تاريخي للمؤلفات التونسية، تونس ١٩٨٦م، ص ١٠٥/

أبو القاسم حمدكرو: مستدرك المؤلفات التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ص٧٣/

موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب المسلمين، بيروت، ٢٠٠٦م، مج ٩، ص ٤٥٥-٤٦٢/ الموسوعة العربية، دمشق مج ٩، ص٥٧٠/ موسوعة الحضارة الإسلامية، (مواد موسوعية من حرف الألف)، عمان١٩٩٣م ص ١١٣

Encyclopedia of Islam, YOL.111,leiden,1971,p.19.

(٢)القيروان: اسم معرب وهو بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة بإفريقية بناها عقبة بن نافع بهدف القضاء على الروم واستغرق بناؤها خمس سنوات من سنة ٥٠إلى ٥٥هـ/ ٦٧٥م، وكانت مدينة القيروان في المغرب الأدنى تمثل واحدا من المراكز المهمة للقاء القوافل التجارية من المشرق والمغرب مع القوافل التي كانت تعبر الصحراء مما يدل على وجود نشاط تجاري بين هذه المنطقة ومنطقة السودان الغربي، انظر: النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٢٣، ٢٤/ الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، تونس، الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٧٨، ص٦٢.

(٣) انظر في ذلك: حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، مراجعة محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، بيت الحكمة، تونس مج ١ ص٣٤٥/ محمد عيسي صالحية: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع، القاهرة ١٩٩٣م ج٢ ص٣٦٠/ ذخائر التراث العربي الإسلامي، ١٩٨١م، مج١ ص٣٥/ المجلة الزيتونية، تونس، مج ٤ عدد٥، ص١٤٣-١٥٠/ د أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون في القرون ١٧،١٨،١٩، المجمع التونسي للعلوم والآداب، بيت الحكمة، ١٩٩٣م ص١٥٧/ فكري الجزار: مداخل المؤلفين والأعلام العرب حتي عام ٢٠١٥م -١٨٠٠م ج١ ص٥١٣.

(٤)أبو القاسم بن أبي دينار: تأهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح، دراسة وتحقيق: د الهادي روشو، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ٢٠١٤م ص ٥، ٦ وانظر عنه أيضا:

(٥) أبو القاسم ابن أبي دينار: المصدر السابق ص١٣.

(٦)تونس: من بناء بني أمية وهي مدينة قديمة في ذاتها كان اسمها قديما ترشيش ولما افتتحها المسلمون وأحدثوا البناء بها سميت تونس، وكان أبو جعفر المنصور العباسي إذا قدم عليه رسول صاحب القيروان يقول له: ما فعلت إحدى القيروانيين، يعني تونس تعظيما لها، انظر: ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام: نشر المكتبة العتيقة، تونس ط٢، ١٩٦٧م، ص ٩، ١٠. والبلاذري: فتوج البلدان، ط بيروت، سنة ١٩٥٨م، ص٣٢١.

ودائرة المعارف الإسلامية، ط كتاب الشعب، القاهرة، مج ١٠، ١٦٨، ١٧٠.

(٧) سوسة: مدينة عتيقة بناها الرومان علي ساحل ابحر المتوسط، تبعد ١٠٠ ميل عن مدينة تونس، انظر: حسن الوزان: تاريخ أفريقيا ص٨٣.

(٨)المؤنس ص٣٢٢ استمر تولي حمودة باشا في منصب الباي ٣٥ عاما استطاع فيها تدعيم سلطته على حساب الدايات، فعلى عكس الدايات التي كانت سلطتهم محدودة في العاصمة استطاع الباي فرض نفوذه في باقي البلاد بفضل عائدات الجباية وانفتاحه على أعيان التجمعات الداخلية وتحالفه مع القبائل، شهدت البلاد في فترة تولي حمودة باشا منصب الباي، نهضة عمرانية بإنشاء عدة أسواق وبنايات كجامع ودار حمودة باشا ودار الباي وبعد وفاته عام ١٦٦٦م خلفه ابنه مراد باي الثاني، الذي استطاع التغلب على الداي حاج علي لوز، الذي حاول إزاحته من منصب الباي، وبعد وفاته دخل أولاده الثلاثة في سلسلة صراعات على الحكم أضعفت البلاد، وآل الحكم على التوالي ابتداء من سنة ١٦٧٥م إلى سنة ١٦٩٨، إلى علي الأول(١٦٧٥-١٦٨٨ م) ، محمد الثاني (١٦٨٨ - ١٦٩٥)، ثم رمضان باي المرادي (١٦٩٥- ١٦٩٨م) انظر: إمام رشاد: سياسة حمودة باشاالحسيني في تونس، المجلة التاريخية المغربية، عدد٦، سنة ١٩٧٦م، ص ١١٢-١٢٠.

(٩) المؤنس ص٣٤٢

(١٠) نفسه ص ٧

(١١) علي بن عبد الواحد: ولد بالمغرب ونشأ بسجلماسة وأقام في مصرمدة واستقر بفاس ثم عين مفتيا بمراكش ونال حظوة كبيرة عند العامة وأهل العلم وأرباب الدولة، له مؤلفات كثيرة منها، تفسير القرآن الكريم، واليواقيت الثمينة، وغيرهما، وتوفي سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م انظر: العياشي: رحلة العياشي ص ٥٠٨ / أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر ١٩٠٦م، ج١ ص٧٥ / المحبي: خلاصة الأثر ج٣ ص١٧٣.

(١٢)المؤنس ص٨

(١٣)نفسه ص٣٤٢-٣٤٣

(١٤) نفسه ص٩

(١٥) قوله فاشمأزت جواب لما، ولا محل للفاء

(١٦) كذا في الأصل ولعل الصواب أعملت

(١٧) المؤنس ص٩

(١٨) داي: كلمة تركية، تعني في اللغة التركية (الخال)، أما في الاصطلاح، فتعني القائد العسكري لولاية تونس، وكان يتم انتخابه من قبل الديوان، أي المجلس الذي يضم ضباط الجيش الإنكشاري بتونس، انظر: مصطفي عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦م ص١٧٥.

(١٩) باي:كلمة تركية، الأصل (بيه) وتعني السيد أو الأمير، وفي الأصل هو والي تونس الممثل للدولة العثمانية، مقره في مدينة تونس، ثم صار في عهد الحسينيين مستقلا بحكمه عن العثمانيين، انظر: قتيبة الشهابي:معجم أرباب السلطان في الدولة الإسلامية من العصر الراشدي حتي بدايات القرن العشرين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا ١٩٩٥م ص ٢٨.

(٢٠) الباشا: لقب تركي مشتق من الكلمة الفارسية (باد شاه) وتعني " الملك " أو " الرئيس السيد" وقد كان يمنح هذا اللقب للعسكريين في الدولة العثمانية والولايات التابعة لها، انظر: قتيبة الشهابي:معجم أرباب السلطان في الدولة الإسلامية ص ٤٠.

(٢١)أغا: جمعها أغوات، كلمة تركية محرفة من أصلها الفارسي أغا أو أقا، بمعني الأب أو العم أو الأخ وتأتي بمعني السيد الآمر، استعملها الأتراك العثمانيون لدلالات كثيرة عبر تاريخهم الطويل، منها أغا الإنكشارية، الذي هو لقب أبرز رجال الدولة وبمثابة قائد الجيش، انظر: مصطفي الخطيب: مرجع سابق ص١١.

(٢٢) محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس ١٩٨٥م ط٢ ص ٧١، ٨٠، ٨٢

(٢٣)مبارك محمد الميلي:تاريخ الجزائر القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ج٢ ص ٢٥٠-٢٥٣

(24)Sander Rang et FerdinandDenis , foundation de la regence d Alger–Histoire des Barbarouse ,Tome1, edition Bouslama, Tunis, Paris, 1837, p.230.

(٢٥) انظر: ابن أبي الضياف:إتحاف أهل الزمانبأخبار ملوك تونس في عهد الأمان، ط تونس ١٩٦٣م، ج٢،ص ٩٠/ إمام رشاد: سياسة حمودة باشا الحسيني في تونس، المجلة التاريخية المغربية،عدد٦، ١٩٧٦م ص١١٢-١٢٠/ حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ط الدار التونسية للنشر ١٩٦٩م،ص ١٥٧/ وليم سبنسر:الجزائر، تعريب د عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر ٢٠٠٦م،ص ٩١-

A. Masmoudi et M.SMIDA,TUNIS au XVI dela chute des Hafsides a l insta llation des turcs, societe tunisienne de diffusion, TUNIS, 1983,P.22.

(٢٦) المؤنس ص ٣٤٨

(٢٧) نفسه ص ١٠

(٢٨) نفس الكتاب والصفحة

(٢٩)انظر: ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام ط سنة ١٩٦٧م ص / محمد حسنين مخلوف:شجرة النور الزكية، ط المكتبة السلفية، القاهرة سنة ١٩٤٩م ص ٣٠٧ / محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٨٢م ج٢ص ٣١٥-٣٢٠ / خير الدين الزركلي: الأعلام، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٢م، ج٧ ص ٢٢٩ / إسماعيل البغدادي: إيضاح المكنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج٢ ص ٦٠٧ / مجموعة من المؤلفين: معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر سنة ١٩٩٥م ص ٢٢٤- ٢٣٣ / محمد بوذينة: مشاهير التونسيين، ط٢ تونس سنة ١٩٩٢م ص ٤٩٨.

(٣٠) المؤنس ص١٣

(٣١) نفسه ص ١٤-١٥

(٣٢) نفسه ص ١٤-١٥

(٣٣) المؤنس ص ١٣

(٣٤) نفسه ص ١٤

(٣٥) موسوعة الحضارة الإسلامية (مواد موسوعية من حرف الألف) عمان، سنة ١٩٩٣م ص١١٣.

(٣٦) المؤنس ص ١٣

(٣٧) المؤنس ص ٣٤٨

(٣٨) المؤنس ص١٧،٢٩،٣٧

(٣٩) نفسه: ص٦٩

(٤٠) نفسه: ص٩٣

(٤١) نفسه: ص ١١٩

(٤٢) نفسه: ص٢٠٣

(٤٣) نفسه:٢١١

(٤٤) نفسه: ص ٢٩١

(٤٥) نفسه: ص٣١٣

(٤٦) عمر رضا كحالة: التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٢م، ص٢٤٥

(٤٧) ابن الشماع: هو أبو عبد الله محمد بن أبي الباس أحمد ابن الشماع، من مؤرخي القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، كان بقيد الحياة سنة ٨٦١هـ/١٤٥٧م، عاصر بعض الأحداث في عهدالأمير الحفصي أبي فارس عبد العزيزسنة ٨٩٦هـ/١٣٧٠م، ومن أهم مؤلفاته، كتاب " الأدلة النورانية علي مفاخر الدولة الحفصية " توفي نحو سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، انظر: محمد مخلوف: شجرة النور ج١ ص٢٤٤ / ابن الشماع: الأدلة النورانية ص٢٠، ١١٤، / التنبكتي: نيل الابتهاج ج ا ص١١٠

(٤٨) المؤنس: ص ١٧

(٤٩) نفسه: ص ١٩

(٥٠) نفسه: ص ١٩، والبكري: هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري، من أكبر الجغرافيين، توفي بالأندلس سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م، من مؤلفاته، المسالك والممالك ومعجم ما استعجم، انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ١ج١٧ ص١٥٦/. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٩ص ٣٥. الزركلي: الأعلام، ج٤ص ٩٨. /البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المقدمة، ص١ –١٩ / وكتاب المسالك والممالك، المقدمة، الناشر: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢م ص١١

(٥١)المؤنس: ص ٢١وابن ناجي: هو أبو القاسم بن عيسي، ولد بالقيروان سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م، درس بمدينة القيروان واشتهر بقوة الحفظ وجمع ما تعسر جمعه من أقوال الفقهاء في الأمصار، ثم انتقل إلي سوسة فتولي القضاء بها، من مؤلفاته، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، توفي سنة٨٣٩هـ/١٤٣٥م، انظر: مجلة الشروق: فقهاء تونس ستة ٢٠١٣م

(٥٢) نفسه: ص٢٣ والبلاذري: هو أحمد بن يحيي بن جابر، من أهل بغداد، كان أديبا ونسابة متقنا، من أهم كتبه " فتوح البلدان " وله كتاب " الأخبار والأنساب، المعروف بأنساب الأشراف، توفي نحو سنة ٢٧٩هـ/ ٩٨٠م انظر: ابن النديم: الفهرست ص١٦٤/ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٢ ص٥٠/ الصفدي: الوافي بالوفيات ج٣ ص١٠٤–١٠٥/ عبد العزيز الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص٤٩.

(٥٣) نفسه: ص٢١ وابن الشباط: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن شباط المصري التوزري، فقيه ولغوي ومؤرخ، كان يعمل مدرسا بجامع الزيتونة بتونس، ومن أهم مؤلفاته، كتاب " صلة السمط" حول فتح صقلية، ويوجد منه فصل آخر عن فتح الأندلس، وكتب أخري مفقودة، توفي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، انظر: الموسوعة التونسية: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، سنة ٢٠١٣م، حرف الألف.

(٥٤) نفسه: ص ٥٤

(٥٥) نفسه: ص٥٦ وابن الكردبوس: هو أبو مروان عبد الملك بن أبي القاسم بن محمد، من رجال القرن السادس الهجري/ ١٢م، ولد في مدينة توزر ثم انتقل إلي الأندلس، عاصر دولة الموحدين، وقام بعدة رحلات بين المدن المغربية، من أشهر مؤلفاته، كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، وهو كتاب جامع لأخبار الدولة العربية الإسلامية، وتوفي بتوزر في نهاية ق٦هـ/١٢م، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ت شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ذ١٩٨٥م ج٢٢ ص٢٤/ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ت السيد يعقوب بكر، دار المعارف ط٢، القاهرة (د.ت)،ص١٣٤/ محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤مج٤ ص١٥٨

(٥٦) المؤنس: ص ٦٠

(٥٧) المؤنس: ص٥١(في بعض النسخ سبعة تيجان).

(٥٨) المؤنس: ص١٧٩ والزركشي: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي، ولد ونشأ في تونس الحفصية وكان مقربا من السلطة الحاكمة، من أهم مؤلفاته "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" وتوفي بعد سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م، انظر: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م، مقدمة المحقق / أنور محمود زناتي:مصادر تاريخ المغرب والأندلس، دار سحر للنشر، د.ب.ن ٢٠٠٨م،ص ٥٨

(٥٩) المؤنس: ص٢٢

(٦٠) المؤنس: ص٥٥ والمقصود بصاحب الاكتفاء هو المؤرخ الزركشي.

(٦١)المؤنس: ص٣٢ والملشوني: هو أبو إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني، نسبة إلي قرية ملشون، وهي من قري بسكرة، وقد عاش إسحاق إلي عهد الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب سنة (٢٢٦هـ-٢٤٢م/ ٨٤٠هـ-٨٥٦م) انظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر البارون دوسلان، مكتبة المثني، بغداد، العراق سنة ١٩٥٧م ص ٥٢.

(٦٢) المؤنس: ص١٥٦ وابن القصار: هو محمد بن القاسم بن علي الغرناطي الفاسي، يكني بأبي عبد الله، ولد بمدينة فاس سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م، واشتهر برواية الحديث وإسناده، تولي الخطابة والفتيا في مدينة فاس زمنا، توفي سنة١٠٦٣هـ/١٦١٢م في طريقه من فاس إلي مراكش، انظر:السلاوي: الاستقصاج٦ص١٤ / الأفراني: صفوة من انتشر ص٦١-٦٤ /القادري: نثر المثاني ص٨٦-٨٧/ المقري: روضة الآس ص٣١٦ /السملالي:الإعلام: ج٢ ص٣٠٨

(٦٣) المؤنس: ص١٢١

(٦٤) نفسه: ص٢٩

(٦٥) نفسه: ص٢٤

(٦٦) نفسه ص ٣٠ والآية المذكورة رقم ٢٧ من سورة السجدة.

(٦٧) المؤنس ص١٨٦

(٦٨) نفسه ص١٨٨والآية المذكورة رقم٤٧ من سورة الروم.

(٦٩) المؤنس ص١٩٧

(٧٠) نفسه ص٢١٥

(٧١) نفسه ص٣١

(٧٢) نفسه ص ٢١٧

(٧٣) نفسه ص٢١

(٧٤) نفسه ص٧٥

(٧٥) نفسه ص٧٦

(٧٦) نفسه ص٧٨

(٧٧) نفسه ص٨٢

(٧٨) نفسه ص٨٣

(٧٩) نفسه ص١٣٧-١٣٨

(٨٠) نفسه ص١٣٨

(٨١) نفسه ص٢٤٧ ، ومن الأمثلة علي اختيار عنوان لكل أمير ، عنوان : "خلافة أمير المؤمنين يحيي (الحفصي) انظر : المؤنس ص١٥٥، وعنوان: "الخبر عن خلافة الأمير أبي الحسن المريني " نفسه : ص١٦٧، وعنوان : "يوسف داي " نفسه: ص ٢٢٨ ، وعنوان : "محمد داي" نفسه : ص٢٤٦، وعنوان : "علي باي " نفسه : ص ٢٧٩

(٨٢)المؤنس ص١٨٣

(٨٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (بيبرس) تحقيق عبد العزيز الخويطر، سنة ١٩٧٦م ص٣٧

(٨٤) د. السيد عبد العزيز سالم:التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية سنة ١٩٦٧م ص ١٢٤.

(٨٥) محمد عبد الغني حسن: علم التاريخ عند العرب، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة سنة ١٩٦١م ص٥٥.

(٨٦) المؤنس: ص ١٩، ١٥٤

(٨٧) نفسه: ص ١٤٤

(٨٨) مدينة مراكش: من أعظم مدن المغرب وأجلها، تقع شمال جبل درن، الذي يبعد عنها ثلاثة فراسخ، ومراكش تعني بالبربرية "أسرع المشي"، انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٨، ص٢٣٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م. والحميري (محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص٥٤٠. وحسن الوزان: وصف أفريقيا، ج٢، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص١٤٦

(٨٩) المؤنس: ص ١٤٣-١٤٤

(٩٠) حلق الوادي: هو ميناء تجاري حكومي يقع في مدينة حلق الوادي التونسية .أسس سنة ١٩٨٨م، وقد أسس الإسبان بحلق الوادي، طيلة مكوثهم حوالي أربعين سنة، مدة حكم شارل الخامس وابنه فيليب الثاني، حول الرباط الاسلامي الأغلبي المربع الشكل قلعة كبيرة وسّعوها في وقت لاحق حتى كانت فيما يبدو تقرب من مكان السكة الحديديّة، ووظّفوا في بنايتهم تلك الحجارة المجلوبة من أنقاض الحنايا الرابطة قديما بين زغوان وقرطاج ، ولكن الأتراك تمكنوا فيما بعد من تقليص حجم القلعة لتحافظ على حصنين فقط مما بناه شارل الخامس. وفي ق١٧م أصبح ميناء حلق الوادي الحربي ذا أهمية بالغة بفضل دعم الأندلسيين المهاجرين للأسطول التونسي انتقاما من أعدائهم النصارى وخاصة الاسبان الذين طردوهم من أوطانهم، وكان منهم من برع في الصناعة الحربية وصنع المدفعية والتحكم في السفن.انظر : الموسوعة التونسية:المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، سنة ٢٠١٣م، حرف الحاء، (حلق الوادي)

(٩١) المؤنس: ص ١٦٨

(٩٢) نفسه: ص ١٧٠

(٩٣) نفسه: ص١٧١

(٩٤) ومن الأمثلة علي ذلك، انظر المؤنس: ص ٢١٥،٢١٧،٣١٤

(٩٥) لطفي عيسي: صناعة الخبر ومدلول المجال والمجتمع والذاكرة "مؤنس ابن أبي دينار ونزهة الأفراني " مقال بندوة علمية عن كتابة التاريخ العربي الإسلامي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود عدد يناير ٢٠١٥م

(٩٦) المرجع السابق: نفس المقال.

(٩٧) المؤنس: ص٣٢٣.

(٩٨) نفس الكتاب الصفحة.

(٩٩) نفس الكتاب والصفحة

(١٠٠) المؤنس: ص ٣٤٧، ٣٤٨

(١٠١) نفسه: ص ٢٨١

(١٠٢) نفسه: ص ٢١٢،٥٣

(١٠٣) نفسه:١٢٢

(١٠٤) نفسه: ص٩٠

(١٠٥) نفسه:ص١٢٤

(١٠٦) نفسه: ص٩٠

(١٠٧) نفسه: ص١٥٣

(١٠٨) نفسه: ص١٩٤

(١٠٩) نفسه: ص٩٣

(١١٠) نفسه: ص١٤٥،١١٩

(١١١) نفسه:ص ٢٥٠

(١١٢) نفسه: ص٣١٣

(١١٣) نفسه: ص٣٢٥

(١١٤) نفسه: ص٣٣١

(١١٥) نفسه: ص٣٤٥

(١١٦) نفسه: ص٣٤٤

(١١٧) نفسه: ص ١٧٨

(١١٨) نفسه: ص ٣١، ٣٢

(١١٩) نفسه: ص٣٣

(١٢٠) نفسه: ص١٥٧

(١٢١) نفسه: ص٣٠٠

(١٢٢) نفسه: ص٣٤٣،٣٤٢

(١٢٣) نفسه: ص٢٠٣

(١٢٤) نفسه: ص٣٤٦

(١٢٥) نفسه: ٢٧٩

(١٢٦) نفسه: ص ١٣

(١٢٧) أطلق العرب (بعد فتح البلاد) على الجزء الشرقي من بلاد البربر اسم " إفريقية " أما الجزء الغربي فاحتفظ باسم المغرب، ولفظ إفريقية ليس إلا تحريفاً للفظ اللاتيني AFRICA (أفريكا) الذي أطلقه الرومان أول الأمر على الإقليم الذي نظموا شئونه بعد تخريبهم قرطاجنة، ثم تطورت هذه التسمية فشملت بلاد البربر كلها، ثم أطلقت آخر الأمر في (العصر الحديث) على جميع القارة...انظر: البكري: المغرب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب، ص ٣٧ . ٣٩، ط بيروت.

(١٢٨) وعن منطقة إفريقية انظر : دائرة المعارف الإسلامية، ص ٥٨١، دار الشعب للطباعة والنشر/ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣١٥ ط٣، ١٩٩١م مكتبة مدبولي بالقاهرة. / عبد الله أبى بكر الزهري: كتاب الجغرافية، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوى على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، ص ١٠٧. تحقيق: محمد حاج صادق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة./ حسن حسنى عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ق ١، ص ١٦، نشر مكتبة المنار، تونس، سنة ١٩٧٢م / د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامي، ص ٤١، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية./ شارل أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ص ١٢ ط سنة ١٩٦٩م./ رولاند أوليفر وجون فيج: موجز تاريخ إفريقية، ص

٧٤ . ٧٨، ترجمة د. دولت أحمد صادق ومراجعة د: محمد السيد غلاب، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة (بدون تاريخ)

(١٢٩) ابن أبي دينار: المؤنس ص ١٤

(130) Amari M., (- Nallino A.) Storia dei Musulmani di Sicilla. Seconda edizlone modificata e accrescluta dallautore,pubblicata con note a cura di Carlo Alfonsa Nallino,I-111,Calania,1933-1939.1,P,88.

131() Codera Fr: Decadencia y desaparlcion de los Almoravides en Espana por Fr, Codera,colleccion de ealudios arabea, Zaragoza, 1899,p.317,note 1.

نقلا عن: إغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، ترجمة، صلاح الدين عثمان، لجنة التأيف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، ق٢: ص٨١٤.

132() Idris(H.R) Ibn Abi Dinar:Encyclopedia de l:Islam.(Nov.Ed.) Paris-Leiden. 1961. T3.P.705.

Al.Qeirouan: (Ibn Abi Dinar) Histoire. de l Afrique. tra Pellissier et Remusat. in Exploration scientifque de l Algerie. Paris.T.V 11/ 1845.

وانظر أيضا: د أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون: ص١٥٧ وانظر أيضا: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث الإسلامي، لبنان، ج ١١ ص١٣٩ / وناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي - تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩م، بيروت، ص٣٨٥.